كاشفية خطب الإمام علي عليه السلام عن أصول الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وآله

ISBN 978-9922-9467-5-7

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٢٢٢٩ لسنة ٢٠٢٢

BP193.1.A2 H38 2022

الحسني، نبيل، ١٣٨٤ للهجرة- ـ مؤلف.

كاشفية خطاب الإمام علي (عليه السلام) عن أصول الرسوم المسيئة للنبي (ﷺ) : صحيح البخاري وصحيفة يولاندس بوستن مثالا : دراسة بينية في ضوء الانثروبولوجيا الثقافية ورواية الحديث و الآثر / تأليف السيد نبيل الحسني. ـ الطبعة الاولى. ـ كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٢ / ١٤٤٣ للهجرة.

١٨٤ صفحة ؛ ٢٤ سم. ـ (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٠٦٠)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛ ٢١٢)، (سلسلة الدراسات والبحوث العلمية، وحدة الدراسات العقدية ؛ ٢٧)، يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٦٥-١٨٠).

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة -- خطب ٢. محمد (ﷺ)، النبي، ٥٣ قبل الهجرة - ١١ للهجرة -- الرسوم المسيئة ٣. يولاندس بوستن (صحيفة : الدنمارك) ٤. الحديث -- صحيح البخاري ٥. الاسلام والغرب أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة -- جهة مصدرة. ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

سلسلة الدراسات والبحوث العلمية
(٢٧)
وحـــدة الدراســـات العقدية

كاشفية خطب الإمام علي عليه السلام عن أصول الرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

صحيح البخاري وصحيفة يولاند سن بوستن مثالاً

دراسة بَيْنِيَّة

في ضوء الأنثروبولوجيا الثقافية ونهج البلاغة ورواية الحديث والأثر

تأليف
السيد نبيل الحسني الكربلائي

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الاولى

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة
مؤسسة علوم نهج البلاغة
www.inahj.org
Email: inahj.org@gmail.com
موبايل: ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣ - ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠

الإهداء

إلى من باع نفسه في الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورد الإساءة عنه.

إلى من لم يزل يجاهد ويكافح في رسم صورة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسلمين.

في منطقه وسكوته، وقيامه وقعوده، وسيره وركوبه، ونومه ويقضته، وطعامه وصيامه، وأكله ومشربه، وتبسمه وبكائه، ورضاه وغضبه، وصلاته وصومه، وزكاته وحجه.

فسلام على من حفظ لنا صورة حبيب رب العالمين (صلى الله عليه وآله وسلم)، سلام على علي أمير المؤمنين وألف سلام

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُه الشَّوَاهِدُ، ولَا تَحْوِيه الْمَشَاهِدُ، ولَا تَرَاه النَّوَاظِرُ، ولَا تَحْجُبُه السَّوَاتِرُ**»[1]، وصلواتهُ التامات الزاكيات على حبيبه محمد، «**عَبْدُه ورَسُولُه الصَّفِيُّ، وأَمِينُه الرَّضِيُّ، أَرْسَلَه بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وظُهُورِ الْفَلَجِ وإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً**»[2] وعلى أهلِ بيته «**أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ**»[3]، وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فإن خير سبيل الى معرفة رسول لله (صلى الله عليه وآله) هو كتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وإنَّ ما تحدث به الوحي في التعريف بالنبي (صلى الله عليه وآله) مجموع في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فكان متفردا فيما اصطفى الله عز وجل لأنبيائه ورسله (عليهم السلام)، والإنسان الأنموذج لأصل الخلق

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٥، بتحقيق صبحي الصالح: ص٢٦٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ٢.

الـذي تجـلى فيـه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقـرة:٣٠]، فـكان ذلـك بمـوازاة الديـن الـذي بعـث بـه، والإسـلام الـذي أرسـل مـن أجلـه، والمنجـاة لمـن سـار بهديـه، وتمسـك بسـنته، في ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمـران: ١١٠].

إلا أنّ مـا جاهـد مـن أجلـه النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) قابلـه المنافقـون والأعـراب بالحـرب المستعرة، والمحدثـات الموقـدة، فعكفـوا عـلى تأجيجهـا كابـر عـن كابـر وخلـف بعـد سـلف، لم يـزل أبـن عـم النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) ووصيـه خامـداً لنيراهـم، ومطفـئ لمحدثاتهـم، وداثـراً لبدعهـم، وحسـبك منـه، قـول بضعـة النبـوة وصفـوة الرسـالة فاطمـة (عليهـا السـلام) في بيانهـا لجهـاد ابـن عمهـا، ووالـد شـبليها، قائلـة في جمـع مـن المهاجريـن والأنصـار:

(«كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان[١] أو فغرت فاغرة من المشركين[٢] قذف أخاه في لهواتها[٣] فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه[٤] ويخمد لهبها بسيفه مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا، كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم»)[٥].

ومـن جهـاده (عليـه الصلاة والسـلام) في حياة رسـول الله (صـلى الله عليه وآله) كـما بينـت بضعـة النبـوة فاطمـة (عليهـا السـلام) الى جهاده بعـد وفاتـه، منصب همه

(١) نجم: ظهر، وقرن الشيطان أمته وتابعوه.
(٢) فغرفاه: أي فتحه، والفاغرة من المشركين: الطائفة منهم.
(٣) قذف: رمى، واللهوات بالتحريك: - جمع لهات -: وهي اللحمة في
(٤) ينكفئ: يرجع، والأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.
(٥) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج ١ - ص ١٣٦.

على إصلاح ما أفسده الولاة من قبله، ومن اَستن بسنتهم، فكانوا أول من غير صورة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأساء في رسمها وتقديمها للناس، وهي حقيقة لا يمكن نكرانها إلا من كان جاحدًا للإسلام والتاريخ.

ومن ثم: فإن الرجوع الى أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) -كما سيمر عِبْر الدراسة- فيما عمله الولاة من قبله في تدوير قيم الجاهلية وفرضها في الإسلام، حتى لم يبق منه إلا أسمه، وإلى علم التاريخ وحوادثه، وعلم الحديث ورواته، ليغني اللبيب عن التتبع والاستقصاء لمعرفة حجم الدمار الذي ألحقه الولاة وأشياعهم في تغيير الإسلام ديناً وقيماً وإساءة لسيد الأنبياء والمرسلين وخيرة الخلق أجمعين (صلى الله عليه وآله).

وهو ما تسعى إليه الدراسة في مباحثها، وتحرص على بيانه في مسائلها، بعد أن تكرر في زماننا هذا الإساءة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) عِبْر تشريعات الحركات التكفيرية المنتشرة في أماكن عدة من العالم على أنها صورة الإسلام الذي بعث به سيد الخلق أجمعين (صلى الله عليه وآله)، فكانوا بفعالهم أسوء صورة للعالمين.

وما تبعه من رسوم مسيئة أخذت مادتها من تراث المسلمين، كردة فعل لما شرعه الولاة منذ وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والى يومنا هذا، والذي نشهد فيه تدريساً لهذا التراث وتعليماً للمسلمين، فقتلوا النبي (صلى الله عليه وآله) في قيَّمه وخلقه وسنته.

فقد اشتملت الدراسة على تمهيد وفصلين، انضوى تحتهما مجموعة من المباحث والمسائل، فأما الفصل الأول فقد تناول:

كاشفية خطاب الإمام علي (عليه السلام) عن محددات أصول الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) وتجلياتها في عمل الولاة وصحيح البخاري.

وقد أشتمل على ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول، فكان لبيان: مخاطبته (عليه السلام) الضمير الجمعي للأمة قبل الشروع ببيان أصول الرسوم المسيئة ووقوع الفتن.

والمبحث الثاني، فقد تناول: دراسة الأثار التي أحدثتها أعمال الولاة في وقوع الفتن في الأمة وتأصيل الرسوم المسيئة.

والمبحث الثالث: تشيّد البخاري ومسلم لأصول الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) فكانت من ثوابت أهل السُنّة والجماعة.

وأما الفصل الثاني، فقد خصص لبيان: التوافقات الفكرية والتثاقفية في الإتكاء على الذرائعية بين ذريعة الصحيح وذريعة حرية التعبير.

وقد أشتمل على مبحثين، الأول: رمزية البخاري في ثقافة أهل السُنّة والجماعة وأثرها في نشر الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) والسكوت عليها بذريعة الصحيح.

والمبحث الثاني: التثاقف بين صحيح البخاري وصحيفة يولاندس بوستن وإفراز ذريعة حرية التعبير.

ومن ثم: يبقى السؤال الذي تحاول الدراسة الإجابة عليه:

لماذا يتصرف الناس في الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله) بهذا الشكل منذ أن بعث والى يومنا هذا؟!

كتب في جوار ضريح ريحانة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرة عين فاطمة الزهراء البتول (عليها الصلاة والسلام) ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

والحمد لله رب العالمين.

المتشرف بالخدمتين العتبة الحسينية المقدسة وكتاب نهج البلاغة

نبيل الحسني الكربلائي

في الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٤٣ للهجرة النبوية

الموافق: ٢٤-٤-٢٠٢٢م

التمهيد

معنى مفردات عنوان الدراسة ومفهومها

أولاً: معنى الكشف والكاشفية.

تدل مفردة (الكشف) في اللغة على الإظهار، وفي ذلك قال ابن منظور:

(الكشْفُ: رفعُك الشيء عما يُواريه ويغطِّيه، كشَفه يكشِفه كشْفاً وكشَّفه فانكَشَف وتكَشَّفَ.

ورَيْطٌ كَشِيفٌ: مكْشُوف أَو مُنْكَشِف؛ قال صخر الغيّ:

أَجَشَّ رِبَحْلاً، له هَيْدَبٌ ... يُرَفِّعُ للخالِ رَيْطاً كَشِيفا

قال أَبو حنيفة: يعني أَن البرق إذ لَمع أَضاء السحابَ فتراه أَبيض فكأَنه كشَف عن رَيْطٍ.

يقال: تكشَّف البرق إذا ملأَ السماء.

وكشَف الأَمر يكْشِفه كَشْفاً: أظهره.

وكَشَّفه عن الأَمر: أَكرهه على إظهاره.

وفي الحديث: «**لو تكاشَفْتم ما تَدافَنْتم**»[1]، أَي لو انكشَفَ عَيبُ بعضكم لبعض.

وقال ابن الأَثير: أَي لو علم بعضُكم سَريرةَ بعض لاستثقل تَشْيِيع جنازَتِه

(١) أخرجه الشيخ الصدوق بسنده الى الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليهم السلام): ص٥٣١

ودَفْنَه)[1].

ويستفاد من ذلك أن خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أظهر أصول الإساءة التي عمل على تأسيسها الولاة منذ زمانه وإلى زماننا الحالي وظهورها عبر الرسوم المسيئة.

ثانياً: معنى الخطاب في اللغة والاصطلاح.

١- الخطاب لغة.

يذهب الفراهيدي (المتوفى ١٧٥هـ) إلى اختصار الدلالة ويوجز في البيان فيقول في معنى (الخطاب): (مراجعة الكلام)[2].

وهي عند الجوهري (المتوفى ٣٩٣هـ): (وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً)[3]، ويفهم منه ما أراده الفراهيدي، أي: مراجعة الكلام بين المتكلم والسامع.

في حين يظهر أحمد بن فارس (المتوفى ٣٩٥هـ) معنى أوضح لهذا اللفظ، فقال:

(خطب): الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبة من ذلك[4].

وقريب منه قال الزمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ):

(١) لسان العرب: ج٩ ص٣٠٠.
(٢) كتاب العين للخليل الفراهيدي: ج٤، ص٢٢٤.
(٣) الصحاح للجوهري: ج١، ص١٢١.
(٤) معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص١٩٨.

خطب: خاطبه أحسن الخطاب وهو ا لمواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة، وكثر خطابها[1].

وقد حاول ابن منظور (المتوفى ٧١١هـ) الجمع فيما قاله أهل اللغة من قبله فقال:

(والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان؛ والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة؛ قال أبو منصور: إن الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلاّ على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب فوضع موضع المصدر)[2].

٢- الخطاب اَصطلاحاً.

ويمكن الخروج بمعنى واحد لهذه الأقوال التي تناولها اللغويون يكوّن لدينا أيضاً معنى الخطاب اصطلاحا، وهو:

الكلام الذي يخرج من فم المتكلم إلى السامع غالباً فيفيد معناً دالاً.

إذ قد يتوجه المتكلم بالكلام إلى العجماوات، ومن ثم لم يقدم أهل اللغة دلالة تفيد تمام المعنى في ذهن القارئ، إذ لا دلالة لقولهم: مراجعة الكلام بدون قرينة توضح معنى المراجعة.

وعليه: ينصرف الذهن إلى أنها محصورة بما يتكلم به المتكلم وهو على المنبر أو مكان مرتفع أو في جمع من الناس قلوا أو كثروا.

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري: ص٢٣٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج١، ص٣٦٠.

ثالثاً: معنى الرسوم المسيئة ومفهومها.

إنّ ما تسعى إليه الدراسة هو بيان أثر الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله في وصفها لحياته وشؤونه الخاصة والعامة ووسمها بالصحيح وتعليمها المسلمين وهي لا تقل في تشويهها للنبي (صلى الله عليه وآله) والإساءة له عن تلك الرسوم التي أخرجتها صحيفة يولاندس بوستن وغيرها من الصحف، فقد أتحد الراوي لهذه الأحاديث والكاتب لها ومصححها ومعلمها وناشرها ومن حولها الى رسوم وحكايات ودافع عنها فهم جميعا شركاء في الإساءة لخير خلق الله وأشرف أنبيائه ورسله (صلى الله عليه وآله).

رابعاً: التعريف بصحيفة يولاندس بوستن.

مورغينفيزن يولاندس بوستن واختصارا **يولاندس بوستن** هي أكثر صحيفة دنماركية مبيعا ظهر منها أول عدد في ٢ أكتوبر ١٨٧١ ولا تصدر إلّا باللغة الدنماركية يقع مقرها في فيبي جي، أحد ضواحي آرهوس، ويوزع منها ما يقارب ١٥٠،٠٠٠ نسخة يوميا. منذ عام ٢٠٠٣م يقوم بإصدارها جي بي/ بوليتيكان هس بعد اندماجها مع البوليتيكان هس بالرغم من استمرار كلتا الصحيفتان، البوليتيكان ويولاندس بوستن، بالصدور كصحيفتين منفصلتين.

نشرت الصحيفة في أبريل ٢٠٠٣ رسوما أعتُبرت مسيئة للمسيح. أثار نشر الصحيفة لرسوم تمثيلية لنبي الإسلام محمد في سبتمبر من عام ٢٠٠٥ حفيظة المسلمين لكن لم يبلغ الغضب أوجه إلا بعد إعادة نشر الرسوم في بعض الصحف الأوروبية[١].

(١) ويكيبيديا: صحيفة يولاندس بوستن.

خامساً: التعريف بعلم الأنثروبولوجيا الثقافية.

إن من الاختصاصات التي تمخضت عن علم الاجتماع هو علم الأنثروبولوجيا (anthropoligy)، أو علم الإناسة وهو يتبنى دراسة جميع الظواهر والآثار التي ترسم حركة الإنسان وطريقة تعايشه مع أبناء جنسه، وفهم جميع الوسائل التي تدل على أنواع هذا التعايش.

فعلم الأنثروبولوجيا (علم الإناسة) هو «ذلك العلم الشمولي، الذي يدرس الإنسان وأعماله، الذي تتمحور أبحاثه حول طبيعة الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني.

وإنه الوحيد الصانع للثقافة ومبدعها والقادر على التعبير عمّا يجول في داخله بكلمات منطوقة مُرَمَّزَة، والقادر على التفكير المجرد، والعيش ضمن جماعة، يرتبط أفرادها بروابط اجتماعية وثقافية وروحية غير ثابتة، لارتباطها بظروف موضوعية متنوعة ومتحركة، تحيط بهذه الجماعة.

أو تلك التي تختلف في الزمان والمكان، والتي تنعكس بدورها على تلك الروابط، مما يجعلها تتباين شكلا ومضمونا»[1].

فالأنثروبولوجيا: «كلمة إغريقية الأصل مركبة من كلمتين (authropos) والتي تعني إنساناً، (ipgia) والتي تعني علما أو دراسة أو معرفة، فالكلمة المركبة تعني (علم دراسة الإنسان).

وهنا قد يبادر كثيرون للتساؤل عما يميز هذا العلم عن غيره من العلوم الأخرى، فالعلوم، كعلم النفس، والاجتماع، والتاريخ، والبيولوجيا،

(١) علم خصائص الشعوب لعلي عبد الله الجباوي: ص ٧.

والجغرافيا والطب، والهندسة، وغيرها من العلوم جميعها تهتم بالإنسان، فما الذي يفرق هذا العلم عن العلوم الأخرى؟

كما أننا حين ننظر إلى تلك العلوم المختلفة فإننا نرى أنه على سبيل المثال أنّ علم الاجتماع يعنى ويهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية الإنسانية، ويهتم بدراسة المشكلات الاجتماعية، ويحاول أن يسهم في إيجاد حلٍ لها.

وعلم النفس هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة السلوك الإنساني، وعلم التاريخ يهتم بدراسة التاريخ الإنساني.

والاقتصاد يهتم بدراسة السلوك الإنساني الخاص بالاستهلاك ومعرفة العرض والطلب، والطب يحاول أن يجد الحلول في رفع المستوى الصحي الإنساني، إلى ما هنالك من العلوم التخصصية الأخرى، فجميع هذه العلوم تهتم بدراسة الإنسان.

ويلاحظ أن هذه العلوم تعنى بدراسة الإنسان من جوانب متعددة، إلا أنها ليست جوانب شاملة، بمعنى أن هذه العلوم تختص بدراسة الإنسان في إطار علمي محدد وفق أسس منهجية ونظرية محددة تقوم عليها.

وعلى الرغم من أن تلك العلوم يعتمد كل منها على الآخر اعتمادا مباشرا، وذلك تحت خطة ما يسمى بالعلوم البينية (interdisciplinary approach) فإن كل علم وكل فرع من المعرفة له قواعده العلمية ومناهجه المحددة التي انطلق منها، والذي جعل هذا النوع من المعرفة يهتم بجانب من الجوانب التي تقدم المنفعة للإنسان بكونه الكائن البسيط على العموم.

أما الأنثروبولوجيا فهو ذلك العلم الذي يعنى بدراسة الإنسان من جميع

جوانبه سواء أكانت فيزيقية، أم ثقافية، أم اجتماعية، أم تاريخية، أم نفسية أم غير ذلك.

فهو ذلك العلم الشمولي الذي يهتم بدراسة الإنسان من حيث أصله، وتطوره، ونموه وتنظيماته الاجتماعية والسياسية، وديانته، ولغته، وفنونه، وصناعاته.

فهو ذلك العلم الشمولي الذي استُلهم فاستمد المنهج والنظرية من هذا المنطلق الشمولي في دراسة الإنسان.

هذه الشمولية تستمد من خلال فروع الأنثروبولوجيا المختلفة، والتي تشكل جسرا بين العلوم الاجتماعية والإنسانية، والطبيعية، والطبية، وغيرها من العلوم»[١].

ومن هنا:

«يرى علماء الأنثروبولوجيا أن المهمة الأساسية لعلم الأنثروبولوجيا هي تمكيننا من فهم أنفسنا عن طريق فهم الثقافات الأخرى، فعلم الأنثروبولوجيا أكثر وعيا بالوحدة الأساسية للإنسان، مما يسمح لنا أن نقدر ونفهم بعضنا البعض»[٢].

ولذلك اهتم علماء الأنثروبولوجيا بهذه الثقافات لكونها أحد الطرق التي ترشدنا إلى معرفة الإنسان في هذا المجتمع أو ذاك وإلى معرفة الروابط المشتركة بين هذه المجتمعات؛ لأن الغرض هو معرفة هذا الإنسان.

ومن هنا يقول عالم الاجتماع البريطاني ماكس فيبر: «إنه لفهم مجتمع ما

(١) الثقافة، والصحة، والمرض، رؤية جديدة في الأنثروبولوجيا المعاصرة للدكتور يعقوب يوسف الكندري: ص ٢٥، ٢٦.

(٢) الإسلام والأنثروبولوجيا لأحمد باقادر: ص ٨٥.

ينبغي أن نستخدم فهم الأهالي، ويسمي -ماكس فيبر- علم اجتماعه بعلم الاجتماع الفعلي، ويسمي المدروس الفاعل الاجتماعي.

ويقول:

إن الباحث قد لا يستطيع أن يتجرد، ولكن أهم وسائل تجرده وموضوعيته هو أنه يسعى إلى السؤال الملح والدائم:

لماذا يتصرف هؤلاء الناس بهذه الصورة؟

فهم قد يتصرفون في ظاهرة واحدة، وربما بشروط واحدة، ولها معان ودلالات مختلفة)[1].

ونحن نسأل نفس السؤال الذي انطلق منه ماكس فيبير:

لماذا يتصرف هؤلاء الناس للإساءة برسول الله صلى الله عليه وآله عبر الأحاديث التي أسموها بالصحيحة والرسوم التي أسموها بحرية التعبير؟

سادساً: فرضية الدراسة وهدفها.

أ - فرضية الدراسة.

تفترض الدراسة أن الأحاديث التي أخرجها البخاري وأكسبها شرعية عبر وسمها بالصحيحة واعتقاد أعلام المسلمين من أهل السُنّة والجماعة بقدسيتها والقطع بصحة صدورها وهي تصرخ بإساءتها للنبي (صلى الله عليه وآله) كانت هي الأصل الذي تفرعت منه الرسوم المنشورة في صحيفة يولاندس بوستن وغيرها.

(١) الإسلام والأنثروبولوجيا لأحمد باقادر: ص ٣٥.

وأن خطاب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قد كشف عن أصول هذه الرسوم المسيئة عبر الشواهد التاريخية لعمل الخلفاء والولاة الذين جلسوا في مجلس الحكم وخلافة المسلمين من قبله ومن بعده، وأن قدسية سُنّة الشيخين وشأنية البخاري وصحيحه من حيث المفهوم والتثقيف عليهما عند أهل السُنّة والجماعة هي عينها في قدسية حرية التعبير والصحافة والتثقيف عليهما عند المجتمعات الغربية، مما أسهم في إجراء العملية التثاقفية لنشر الإساءة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في كلا الثقافتين.

ب - هدف الدراسة.

تكمن غاية الدراسة وهدفها ضمن مجموعة من النقاط، وهي على النحو الآتي:

١ - إنَّ وظيفة الباحث والدارس اليوم، هي أعادة قراءة الموروث الإسلامي ضمن منظومة التحليل العلمي والمعرفي المرتكزة على القراءة المتأنية والمنصفة دون الخروج عن ثوابت القرآن والعترة النبوية (عليهم السلام) وهما الثقلان اللذان أمر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالتمسك بهما لضمان عدم الانحراف عن الحق.

٢- إنّ الإثراء المعرفي في كشف الحقائق العلمية له أثره البالغ في تصحيح الموروث الثقافي والفكري.

٣- إن التأصيل لمنهج المزواجة المعرفية والبينية يسهم في الخروج بنتائج متجدده للعلوم الإنسانية.

٤- محاولة تصحيح مسار الأنساق الثقافية المكبلة للرؤية العلمية المرتكزة على تحرر الذهن من الأضغان وازدراء الأديان فما زال الكثير من المسلمين

وبفعل هذه الأنساق الثقافية يزدرؤون مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ومن سار بهديهم فكيف ببقية الأديان والمذاهب والفرق والثقافات العالمية.

٥- إنّ عيّنَة الدراسة -التي بين أيدينا- وغيرها، مما وفقنا الله تعالى لكتابته، لا تستهدف أي شخص بذاته وإنما الحقيقة ومقدماتها ونتائجها، وإنْ كانت مريرة على الآخر.

ولقد اَعتمدتُ في هذا المنهج على هدي أمير المؤمنين الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) حينما توجه إليه الحرث بن حوط الليثي، قائلا:

(أترى أن طلحة والزبير، وعائشة اَجتمعوا على باطل؟ فقال علي (عليه السلام):

«يا حار أنت ملبوس عليك، إنَّ الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال، وبإعمال الظن، أعرف الحق تعرف أهله، واَعرف الباطل تعرف أهله»)[1].

٦- إنّ المجتمع الإسلامي اليوم في أَمَسِ الحاجة الى معرفة القيم التي جاء بها النبي (صلى الله عليه واله) وتعلمها وتعليمها والعمل بها بعد أن تمت عملية تدوير قيم الجاهلية في المجتمع.

٧- إنّ الواجب الديني والحضاري يفرض على الأنسان التأسي بسيرة أمير المؤمنين الإمام علي والأئمة من بعده (عليهم السلام) في أحيائهم للقيم الأخلاقية المحمدية والدفاع عنها، وبثها بين الناس، ففيها تجديد لحياة رسول الله (صلى الله عليه واله).

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٢ ص٢٧٤؛ البيان والتبيان للجاحظ: ص٤٩١؛ تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢١٠.

سابعاً: حقول الدراسة المعرفية ومجالات البحث.

اَستلزمت الدراسة الولوج الى حقول معرفية، ومناهل علمية عدة، وهي على النحو الآتي:

الحديث النبوي، والتفسير، والسيرة، والأخلاق، والتاريخ الإسلامي، والعقيدة، والرجال، والجرح والتعديل، والفقه، والاجتماع، وغيرها كما سمير بيانه أثناء الدراسة.

ثامناً: معنى الدراسة البينية.

اَعتمدنا في هذه الدراسة على أهم الطرق العلمية في بناء النتائج المعرفية والفكرية؛ إذ تعد الدراسات البينية من أهم ما توصلت أليه المناهج العلمية في طرق جمع المعلومة وإعادة بلورتها في نتاج معرفي جديد يرتكز على الممازجة بين الحقول المعرفية المتعددة للوصول الى نتاج معرفي وفكري جديد يمكن الباحثين والدارسين من فهم مادة البحث سواء أكانت هذه المادة البحثية هي الإنسان وما يصدر عنه أو ما يختلج في مكنون نفسه ضمن العلوم الإنسانية.

وذلك أن الهدف من الدراسات البينية هو (تعظيم الاستفادة من التوجهات الفكرية للتخصصات المشاركة وتحقيق الإبداع في طرق التفكير والتكامل المعرفة وليس وحدتها)[1].

(١) تزاوج الاختصاصات، نجيب عبد الواحد؛ ٣يونيو٢٠١٧؛ الدراسات البينية التعليم العالي.

مما يحقق أيضا (تكامل المعارف الإنسانية على اَختلاف مجالاتها لتظهر علوم وكشوف جديدة نافعة للبشرية)[1].

وهذا ما سعت الى تحقيقه الباحث عِبْر الممازجة بين الحقول المعرفية المتعددة بغية الوصول الى نتائج جديدة، وما عَيّنَة الدراسة التي بين أيدينا إلاَّ واحدة من الدراسات المتجددة في أروقت الفكر وحقوله المعرفية، لاسيما الحقل العقدي الذي عليه قيام العلاقة مع الله تعالى ورسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

تاسعاً: مناهج البحث المعتمدة في الدراسة.

اَعتمدت في هذه الدراسة على ثلاثة مناهج بحثية، وهي: المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك لدراسة المعطيات التفسيرية، والروائية، والعقدية، والتاريخية، والسيرية، والثقافية، عبر اَستنطاق النصوص، والأحداث، والمظاهر والبواطن للمواقف، بغية الوصول الى نتائج وكشوفات معرفية جديدة، تسهم في اَصلاح الإنسان والمجتمع والرجوع به الى هويته القرآنية والنبوية، والتمسك بالثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته (عليهم السلام).

فلم ولن يضل من تمسك بهما حتى يردا على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عند الحوض؛ عهد معهود من الله لنبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمّا من أبى وأعرض عن ذلك فلن يضر الله عزّ وجل.

(١) صحيفة المدينة، يوم الاثنين، ٢٨ شوال-١ يوليو ٢٠١٩

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[1].

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

الفصل الأول

كاشفية خطاب الإمام علي (عليه السلام)
عن محددات أصول الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
وتجلياتها في عمل الولاة وصحيح البخاري

- **توطئة:**

يعد النص المروي عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) المادة الأساس في كشف جذور الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله) وذلك عبر بيانه لعمل الولاة الذين سبقوه في الحكومة الإسلامية، وقد أظهر النص الشريف الإجراءات الممنهجة لبناء عقيدة جديدة تتقاطع مع الأصول التي جاء بها القرآن والسُنّة النبوية في رسمها لصورة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الفكر الإسلامي وما يحدها من حدود شرعية، فمن صورة الإنسان الكامل الى صورة الإنسان الذي يقع في الآثام والموبقات-كما سيمر بيانه لاحقاً- فنعوذ بالله مما يقولون ومن تكميم الأفواه وتعطيل العقول بقدسية البخاري فغلبت على قدسية النبي (صلى الله عليه وآله).

المبحث الأول

مخاطبته الضمير الجمعي للأمة قبل الشروع ببيان أصول الرسوم المسيئة ووقوع الفتن

إنّ من أهم النصوص الكاشفة عن محددات أصول الرسوم المسيئة ووقوع الفتن في الأمة هو ما رواه ثقة الإسلام الشيخ الكليني (عليه رحمة الله ورضوانه) (المتوفى ٣٢٩هـ) بسند معتبر[١]، عن عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيه، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ الْهِلَالِيِّ، قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ [عليه السلام] فَحَمِدَ اللهَ، وأَثْنَى عَلَيْه، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ [صلى الله عليه وآله]، ثُمَّ قَالَ:

«أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَلَّتَانِ، اتِّبَاعُ الْهَوَى وطُولُ الأَمَلِ أَمَّا اتِّبَاعُ

---

(١) قال العلامة المجلسي: (الخبر مختلف فيه بسليم [بن قيس الهلالي]، وعلى هذه النسخة لعل فيه إرسالا إذ لم يعهد برواية إبراهيم بن عثمان وهو أبو أيوب الخراز عن سليم، وقد مر مثل هذا السند مرارا عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عياش عن سليم، ولعله سقط من النساخ، فالخبر ضعيف على المشهور، لكن عندي معتبر، لوجوه ذكرها محمد بن سليمان في كتاب منتخب البصائر وغيره)؛ ينظر: (مرآة العقول: ج٢٥، ص١٣١).

أقول: وقد روى الكليني مطلع الخبر، أي من قوله (عليه السلام): (وإِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ) إلى: (سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهَ الْحُسْنَى) بسند صحيح في باب: البدع والرأي والمقائيس: ج١ ص٥٤، ورواه أيضاً البرقي (رحمه الله المتوفى ٢٧٤هـ)، فضلاً عن أن الخبر من أصول عاصم بن حميد الحنّاط وهو أحد الأصول الستة عشر لدى علماء الإمامية (أعلى الله شأنهم).

ولعل عزوف الرواة عن أتمام رواية الخبر أو تدوينه بتمامه كما فعل الكليني (رحمه الله) لما فيه من التبعات التي تكلف الراوي حياته لا سيما وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يتحدث عن بيان هذه الحقائق إلا بعد أن تولى الحكومة والخلافة الإسلامية.

الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ، أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً، وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً، ولِكُلٍّ وَاحِدَةٍ بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، ولَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولَا حِسَابَ، وإِنَّ غَداً حِسَابٌ ولَا عَمَلَ.

وإِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ مِنْ أَهْوَاءٍ تُتَّبَعُ، وأَحْكَامٍ تُبْتَدَعُ، ولَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ لَمْ يَخْفَ عَلَى ذِي حِجًى، لَكِنَّه يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ، ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَيُجَلَّلَانِ مَعاً، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِه، ونَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهَ الْحُسْنَى؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَ [صلى الله عليه وآله] يَقُولُ:

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ، وقَدْ أَتَى النَّاسُ مُنْكَراً، ثُمَّ تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ، وتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، وتَدُقُّهُمُ الْفِتَنَةُ كَمَا تَدُقُّ النَّارُ الْحَطَبَ وكَمَا تَدُقُّ الرَّحَى بِثِفَالِهَا، ويَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ اللهَ، ويَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، ويَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِأَعْمَالِ الآخِرَةِ[1].

(١) أقول: هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنّفه: عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن عبد الله بن مسعود، ولم ينسبه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وكذا فعل ابن أبي شيبة الكوفي في مصنّفه، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: قال عبد الله، وساق الحديث بتمامه.

ومما لا ريب فيه إننا لا نسلم للصنعاني وابن أبي شيبة الكوفي في نسبتهما الحديث الى ابن مسعود وذلك أن منطوق الحديث هو الغيبيات التي أختصت بالنبوة، فضلا عن أن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أوثق وأصح من كلا ابن مسعود وقد نطق القرآن بصدقه وطهراته في آية التطهير، وعليه فيكون الحديث في نسبته الى ابن مسعود هو من وهم الرواة الذين عصفت بهم الظروف السياسية التي حاربت الرواية الشريفة. ينظر: المصنّف للصنعاني: ج١١ ص٣٥٩؛ المصنّف لابن ابي شيبة: ج٨ ص٥٩٩.

ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِه وحَوْلَه نَاسٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِه وخَاصَّتِه وشِيعَتِه فَقَالَ:

قَدْ عَمِلَتِ الْوُلَاةُ قَبْلِي أَعْمَالاً خَالَفُوا فِيهَا رَسُولَ اللهَ [صلى الله عليه وآله]، مُتَعَمِّدِينَ لِخِلَافِه، نَاقِضِينَ لِعَهْدِه، مُغَيِّرِينَ لِسُنَّتِه، ولَوْ حَمَلْتُ النَّاسَ عَلَى تَرْكِهَا، وحَوَّلْتُهَا إِلَى مَوَاضِعِهَا، وإِلَى مَا كَانَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهَ [صلى الله عليه وآله]، لَتَفَرَّقَ عَنِّي جُنْدِي حَتَّى أَبْقَى وَحْدِي أَوْ قَلِيلٌ مِنْ شِيعَتِيَ الَّذِينَ عَرَفُوا فَضْلِي، وفَرْضَ إِمَامَتِي مِنْ كِتَابِ اللهَ عَزَّ وجَلَّ وسُنَّةِ رَسُولِ اللهَ [صلى الله عليه وآله]:

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَمَرْتُ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ [عليه السلام] فَرَدَدْتُه إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَه فِيه رَسُولُ اللهَ [صلى الله عليه وآله].

ورَدَدْتُ فَدَكاً إِلَى وَرَثَةِ فَاطِمَةَ عليها السلام، ورَدَدْتُ صَاعَ رَسُولِ اللهَ [صلى الله عليه وآله] كَمَا كَانَ، وأَمْضَيْتُ قَطَائِعَ أَقْطَعَهَا رَسُولُ اللهَ [صلى الله عليه وآله] لأَقْوَامٍ لَمْ تُمْضَ لَهُمْ ولَمْ تُنْفَذْ، ورَدَدْتُ دَارَ جَعْفَرٍ إِلَى وَرَثَتِه، وهَدَمْتُهَا مِنَ الْمَسْجِدِ، ورَدَدْتُ قَضَايَا مِنَ الْجَوْرِ قُضِيَ بِهَا، ونَزَعْتُ نِسَاءً تَحْتَ رِجَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَرَدَدْتُهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، واسْتَقْبَلْتُ بِهِنَّ الْحُكْمَ فِي الْفُرُوجِ والأَحْكَامِ، وسَبَيْتُ ذَرَارِيَّ بَنِي تَغْلِبَ، ورَدَدْتُ مَا قُسِمَ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ، ومَحَوْتُ دَوَاوِينَ الْعَطَايَا، وأَعْطَيْتُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهَ [صلى الله عليه وآله] يُعْطِي بِالسَّوِيَّةِ، ولَمْ أَجْعَلْهَا دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ، وأَلْقَيْتُ الْمَسَاحَةَ، وسَوَّيْتُ بَيْنَ الْمَنَاكِحِ، وأَنْفَذْتُ خُمُسَ الرَّسُولِ كَمَا أَنْزَلَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ وفَرَضَه، ورَدَدْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهَ [صلى الله عليه وآله] إِلَى مَا كَانَ عَلَيْه، وسَدَدْتُ مَا فُتِحَ فِيه مِنَ الأَبْوَابِ، وفَتَحْتُ مَا سُدَّ مِنْه، وحَرَّمْتُ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وحَدَدْتُ عَلَى النَّبِيذِ، وأَمَرْتُ بِإِحْلَالِ الْمُتْعَتَيْنِ، وأَمَرْتُ بِالتَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ، وأَلْزَمْتُ النَّاسَ

الْجُهَرَ بِبِسْمِ اللهَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وأَخْرَجْتُ مَنْ أُدْخِلَ مَعَ رَسُولِ اللهَ [صلى الله عليه وآله] فِي مَسْجِدِه مِمَّنْ كَانَ رَسُولُ اللهَ [صلى الله عليه وآله] أَخْرَجَه، وأَدْخَلْتُ مَنْ أُخْرِجَ بَعْدَ رَسُولِ اللهَ [صلى الله عليه وآله] مِمَّنْ كَانَ رَسُولُ اللهَ [صلى الله عليه وآله] أَدْخَلَه، وحَمَلْتُ النَّاسَ عَلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ، وعَلَى الطَّلَاقِ عَلَى السُّنَّةِ، وأَخَذْتُ الصَّدَقَاتِ عَلَى أَصْنَافِهَا وحُدُودِهَا، ورَدَدْتُ الْوُضُوءَ، والْغُسْلَ، والصَّلَاةَ إِلَى مَوَاقِيتِهَا وشَرَائِعِهَا ومَوَاضِعِهَا، ورَدَدْتُ أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى مَوَاضِعِهِمْ، ورَدَدْتُ سَبَايَا فَارِسَ وسَائِرِ الأُمَمِ إِلَى كِتَابِ اللهَ وسُنَّةِ نَبِيِّه [صلى الله عليه وآله].

إِذاً لَتَفَرَّقُوا عَنِّي، واللهَ لَقَدْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ لَا يَجْتَمِعُوا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَّا فِي فَرِيضَةٍ، وأَعْلَمْتُهُمْ أَنَّ اجْتِمَاعَهُمْ فِي النَّوَافِلِ بِدْعَةٌ، فَتَنَادَى بَعْضُ أَهْلِ عَسْكَرِي مِمَّنْ يُقَاتِلُ مَعِي يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ غُيِّرَتْ سُنَّةُ عُمَرَ، يَنْهَانَا عَنِ الصَّلَاةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تَطَوُّعاً، ولَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَثُورُوا فِي نَاحِيَةِ جَانِبِ عَسْكَرِي؛ مَا لَقِيتُ مِنْ هَذِه الأُمَّةِ مِنَ الْفُرْقَةِ، وطَاعَةِ أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ.

وأَعْطَيْتُ مِنْ ذَلِكَ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى الَّذِي قَالَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِالله وما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ﴾ فَنَحْنُ واللهَ عَنَى بِذِي الْقُرْبَى الَّذِي قَرَنَنَا اللهَ بِنَفْسِه وبِرَسُولِه [صلى الله عليه وآله] فَقَالَ تَعَالَى ﴿فَلِلَّه ولِلرَّسُولِ ولِذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ فِينَا خَاصَّةً: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ مِنْكُمْ وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وما نَهاكُمْ عَنْه فَانْتَهُوا واتَّقُوا الله﴾ فِي ظُلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ: ﴿إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ لِمَنْ ظَلَمَهُمْ.

رَحْمَةً مِنْه لَنَا وغِنًى أَغْنَانَا اللهَ بِه ووَصَّى بِه نَبِيَّه [صلى الله عليه وآله] ولَمْ يَجْعَلْ لَنَا فِي سَهْمِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً، أَكْرَمَ اللهَ رَسُولَه [صلى الله عليه وآله]، وأَكْرَمَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَنْ يُطْعِمَنَا مِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ، فَكَذَّبُوا اللهَ، وكَذَّبُوا رَسُولَه، وجَحَدُوا كِتَابَ اللهَ النَّاطِقَ بِحَقِّنَا، ومَنَعُونَا فَرْضاً فَرَضَه اللهَ لَنَا، مَا لَقِيَ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيٍّ مِنْ أُمَّتِه مَا لَقِينَا بَعْدَ نَبِيِّنَا [صلى الله عليه وآله]، واللهَ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»[1].

ويشتمل النص الشريف على جملة من المسائل وتفرعاتها المعرفية، لكنه عليه السلام قبل شروعه بمخاطبة الأمة سواء في زمانه أو الأزمنة اللاحقة فأنه ابتدأ بخطاب الضمير الجمعي، وذلك لاستجلاب ذهن المتلقي وتحريك ضميره لما فيه من أثر في الإصلاح وإظهار أصول وقوع الفتن ومنها الرسوم المسيئة وصورها في المصادر الحديثية الموسومة بالصحيح؛ وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: تحريك الضمير الجمعي وأثره في الوصول إلى الإصلاح .

قال عليه السلام:

«أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَلَّتَانِ، اتِّبَاعُ الْهَوَى وطُولُ الأَمَلِ أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ، أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً، وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً، ولِكُلٍّ وَاحِدَةٍ بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، ولَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولَا حِسَابَ، وإِنَّ غَداً حِسَابٌ ولَا عَمَلَ».

(١) الكافي: ج٨ ص٥٨ -٦٣.

أولاً - مفهوم مصطلح الضمير الجمعي ونشأته.

يُعد مصطلح (الوعي الجمعي) أو (الضمير الجمعي) من المصطلحات المعاصرة التي تنبه إلى أهميته وخطورته علماء الاجتماع بالدرجة الأساس، وعلماء النفس والأنثروبولوجيا.

لا سيما العالم (أميل دوركايم)[1]؛ إذ يمثل (دوركايم نقطة تحول هامة في تاريخ التفكير الاجتماعي ونظرية علم الاجتماع، فلقد تجنب كثيرًا من المشكلات التي آثارها علماء الاجتماع التطويريون في القرن التاسع عشر وجعل اهتمامه على تحديد موضوع علم الاجتماع)[2].

ويعد (دوركايم الأب الروحي للمدرسة الوظيفية في علم الاجتماع عبر إطلاقه صفة العضوية على التضامن الاجتماعي في المجتمعات الحديثة، وكذلك عدَّ قيام أعضاء المجتمع (المؤسسات، النظم، الطبقات، الأفراد) بالوظائف الموكلة إليهم شرطًا لبقاء المجتمع واستمراره تمامًا كما يعد قيام أعضاء الكائن الحي بوظائفها شرطًا لبقاء ذلك الكائن)[3].

ويعرف الوعي الجماعي بأنه (عبارة عن وعي الأفراد بالعلاقات الاجتماعية الرابطة بينهم وبتجاربهم المشتركة، وقد يتطور هذا الوعي وينمو ليحفزهم

(١) إميل دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره في تقسيم العمل الاجتماعي De la division du travail social (عام ١٨٩٣)، و(قواعد المنهج السوسيولوجي) Les Règles de la méthode sociologique (عام ١٨٩٥).

(٢) تاريخ الفكر الاجتماعي، أ. د نبيل عبد الحميد الجبار: ص٩٥/ ط١ دار دجلة/ الاردن.

(٣) نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، د. معن خليل: ص١١٤/ ط٢، دار الآفاق/ العراق.

على الاشتراك في تحمل مسؤولية النهوض بمجتمعهم؛ ويترجم أيضًا بالضمير الجمعي)[1].

ويشير الضمير الجمعي إلى (المعتقدات والمواقف الأخلاقية المشتركة التي تعمل كقوة للتوحيد داخل المجتمع)[2].

ويشكل الضمير في منظور دوركايم بأنه (جهاز متكون من الوجدان والتصوير، وأنه ليس الجهاز العقلي وهو المفهوم الذي تتضمنه كلمة الوعي أو الضمير)[3]، وهذا يدعو إلى مفهوم الوعي وإلى وجود فروق بين الوعي الفردي والجمعي.

وهو ما سعى إليه أمير المؤمنين عليه السلام في مخاطبته الأمة وتحريك ضميرها بعد أن اتخذت من أعمال الولاة سنة أكسبتها قدسية تضاهي قدسية سنة النبي (صلى الله عليه وآله) كما سيمر بيانه عبر الدراسة.

ثانياً - استجلابه (عليه السلام) لذهن المتلقي وقلبه.

يسلك أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطابه لبيان الحقائق التي عصفت بالأمة -من تغيير لأحكام القرآن والسُنّة النبوية وإكساء هذه الإجراءات والمحدثات والبدع صبغة شرعية- جملة من المقدمات التي يستجلب فيها ذهن المتلقي وحضور قلبه وتحكيم ضميره، كي يستقبل منه ما سيورده من

(١) موسوعة علم الانسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيا، لسيمور سميث: ص٣٦٩، ط٢، المركز القومي للترجمة - القاهرة.

(٢) ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - الضمير الجمعي.

(٣) المصدر نفسه.

حقائق مريرة وهو يرجو بهذه المقدمات تجنب المزيد من الضلال والتردي والهلاك، والتوهين بالمقدسات كما حدث في تدوين الأحاديث المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) وروايتها وبثها بين الناس وترجمتها إلى واقع تجلت مصاديقه في الرسوم التي نشرتها الصحف الغربية، بل وما سبقها من أعمال روائية وتاريخية حرص منتجوها على رسم تلك الصورة المسيئة عن نبي الرحمة والإنسانية (صلى الله عليه وآله).

ولذا:

قام أمير المؤمنين (عليه السلام) بعرض جملة من المقدمات قبل الحديث عن عمل الولاة لا سيما وأنهم عملوا جاهدين على تأصيل المحدثات التي تعمدوا فيها مخالفة سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجعلها بمقابل السُنّة، ليكتسبوا بذلك قداسة لأنفسهم بعد أن أصّلوا في أذهان الناس أنهم أهل السُنّة.

ومن ثم لابد من التمهيد بجملة من المقدمات، فكانت على النحو الآتي:

١ـ الخوف على المسلمين من إتباع الهوى وطول الأمل وبيان أثارهما على الأنسان.

وذلك في قوله (عليه السلام):

«أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَلَّتَانِ، اتِّبَاعُ الْهَوَى وطُولُ الأَمَلِ أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ».

وتكمن أهمية (النّهى عن اتّباع الهوى والمنع من طول الأمل في الدّنيا، [لأنّهما] من أعظم الموبقات وأشدّ المهلكات كما قال سبحانه:

«فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى، وَأَمَّا مَنْ خافَ

مَقامَ رَبِّـهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهُوى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوى».

يعنى من تجاوز الحدّ الذي حدّه اللهَ وارتكب المعاصي وفضّل الدّنيا على الآخرة واختارها عليها: فانّ النّار منزلها ومأواها، وأمّا من خاف مقام مسألة ربّه فيما يجب عليه فعله أو تركه، ونهى نفسه عن الحرام الذي تهويه وتشتهيه، فانّ الجنّة مقرّه ومثواه ولكونهما من أعظم المهلكات كان خوفه منهما أشدّ كما أشار إليهما بقوله عليه السّلام:

«**أيها النّاس إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلتان**»، أي خصلتان إحداهما (**اتّباع الهوى**) والمراد به هو ميل النّفس الأمارة بالسّوء إلى مقتضى طباعها من اللّذات الدّنيوية إلى حدّ الخروج عن قصد الشّريعة.

والخصلة الثانية (**طول الأمل**)، والمراد بالأمل تعلّق النّفس بحصول محبوب في المستقبل، ويرادفه الطمع والرّجاء إلا أنّ الأمل كثيرا ما يستعمل فيما يستبعد حصوله والطمع فيما قرب حصوله والرّجاء بين الأمل والطمع وطول الأمل عبارة عن توقع أمور دنيوية يستدعى حصولها مهلة في الأجل وفسحة من الزمان المستقبل.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد تحذيره عن اتباع الهوى وطول الأمل أشار إلى ما يترّتب عليهما من المفاسد الدّينية والمضار الأخرويّة فقال:

«**أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ**» وذلك لأنّ اتّباع الهوى يوجب صرف النّظر إلى الشهوات الدّنيوية وقصر الهمّة في اللذات الفانية وهو مستلزم للإعراض عن الحقّ وهو واضح، لأنّ حبّك للشيء صارفك عمّا وراه وشاغلك عمّا عداه.

«وأمّا طول الأمل فينسى الآخرة» وذلك لما قد عرفت من أنّ طول الأمل عبارة عن توقع أمور محبوبة دنيويّة فهو يوجب دوام ملاحظتها ودوام ملاحظتها مستلزم لإعراض النّفس عن ملاحظة أحوال الآخرة وهو مستعقب لانمحاء تصورها في الذّهن وذلك معنى النّسيان لها)[1].

٢ـ عدم الاغترار بالدنيا والسعي في الانتساب إليها كما ينتسب المولود لوالديه وأهله.

وذلك في قوله (عليه السلام):

«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَرَحَّلَتْ مُدْبِرَةً، وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ تَرَحَّلَتْ مُقْبِلَةً، ولِكُلٍّ وَاحِدَةٍ بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، ولَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولَا حِسَابَ، وإِنَّ غَداً حِسَابٌ ولَا عَمَلَ».

وفي لفظ أخر رواه الشريف الرضي (عليه رحمة الله ورضوانه)، قال (عليه السلام):

«أَلَا وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ، اصْطَبَّهَا صَابُّهَا، أَلَا وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ ولِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ ولَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولَا حِسَابَ وغَداً حِسَابٌ ولَا عَمَلَ»[2].

وفي كلا اللفظين ينتقل عليه السلام بعد بيانه لخطورة الخصلتان التي يتخوف منهما على المسلمين، أي (إلى كون اتّباع الهوى صادّا عن الحقّ وطول

(١) منهاج البراعة، السيد حبيب الله الخوئي: ج٤ ص٢٠٠-٢٠١ .
(٢) نهج البلاغة، الخطبة (٤٢).

الأمل منسيا للآخرة أردف ذلك بالتنبيه على سرعة زوال الدّنيا وفنائها كي يتنبّه الغافل عن نوم الغفلة ويعرف عدم قابليتها لأن يطال الأمل فيها أو يتّبع الهوى فقال:

«**ألا وإنّ الدّنيا قد ولّت حذّاء**»، أي أدبرت سريعة لكونها مفارقة لكلّ شخص «**فلم يبق منها**» بالنّسبة إليه «**إلّا صبابة كصبابة الاناء اصطبّها صابّها**»، أطلاق الصبابة استعارة لبقيّتها القليلة، والقلّة هي الجامع بين المستعار منه والمستعار له (**ألا وإنّ الآخرة قد أقبلت**) إشارة إلى سرعة لحوق الآخرة، إذا إدبار العمر مستلزم لأقبال الموت الذي هو آخر أيام الدّنيا وأوّل أيّام الآخرة.

والإتيان بـ (أنّ) المؤكدة وحرف التّنبيه و(قد) التّحقيقية، من أجل تنزيل العالم منزلة الجاهل فكان المخاطبين لغفلتهم عن أقبالها حيث لم يتزّودوا لها، ولم يتّخذوا لها ذخيرة جاهلون له.

وقوله عليه السّلام: «**ولكلّ منهما بنون**» شبّه الدّنيا والآخرة بالأب أو الأمّ وأهلها بالأبناء والأولاد إشارة إلى فرط ميل أهل الدّنيا إلى دنياهم، وأهل الآخرة إلى آخرتهم فهم من فرط المحبة إليهما بمنزلة الأبن إلى أبويه، وهما من حيث تهيّة الأسباب لأهلها بمنزلة الأبوين الصّارفين نظرهما إلى تربية الأولاد.

ثمّ لما كان غرضه عليه السّلام حثّ الخلق على السّعي للآخرة، والميل إليها والإعراض عن الدّنيا قال: «**فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا**» وعلّله بقوله: «**فانّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة**».

قال الشّارح البحراني: وأشار بذلك إلى أنّ أبناء الآخرة والطالبين لها والعاملين لأجلها مقرّبون في الآخرة لاحقون لمراداتهم فيها، ولهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولهم ما يدّعون نزلا من غفور رحيم.

وأما أبناء الدّنيا فانّ نفوسهم لما كانت مستغرقة في محبّتها وناسية لطرف الآخرة ومعرضة عنها، لا جرم كانت يوم القيامة مغمورة في محبّة الباطل، مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الرّديّة، فهي لتعلّقها بمحبة الدّنيا حيث لا يتمكّن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلّق له إلّا بوالده ولا ألف له إلّا هو ولا أنس إلّا معه، ثمّ حيل بينه وبينه مع شدّة تعلّقه به وشوقه إليه، واخذ إلى ضيق الأسجان وبدل بالعزّ الهوان فهو في أشدّ وله وهمّ وأعظم حسرة وغمّ.

وأمّا أبناء الآخرة ففي حضانة أبيهم ونعيمه قد زال عنهم بؤس الغربة وشقاء اليتم وسوء الحضن فمن الواجب إذا تعرف أحوال الوالدين واتباع أثرهما وأدومهما شفقة وأعظمهما بركة، وما هي إلّا الآخرة وليكن ذو العقل من أبناء الآخرة، وليكن برا بوالده متوصلًا إليه بأقوى الأسباب وأمتنها.

«**وانّ اليوم عمل ولا حساب**»: أراد باليوم مدّة الحياة، يعني: أنّ هذا اليوم يوم عمل، لأنّ التكليف إنّما هو في هذا اليوم والعمل به والامتثال له إنّما يكون فيه، (**وغدا حساب ولا عمل**) أراد بالغد ما بعد الموت وهو وقت الحساب ولا عمل فيه لانقطاع زمان التكليف فعلى هذا فاللّازم للعاقل أن يبادر إلى العمل الذي به يكون من أبناء الآخرة في وقت إمكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل)[1].

(١) منهاج البراعة، السيد حبيب الله الخوئي: ج٤ ص٢٠١-٢٠٣.

ولشهرة هذه الخطبة فقد أخرجها جملة من أعلام المحدثين والمؤرخين، فمنهم من رواها كاملة ومنهم من أقتبس منها بعض الألفاظ بحسب موارد الموضوع الذي أورده، فكانت على النحو الآتي:

أ - البلاذري (ت٢٧٩هـ)[١].

ب - ابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، وقد أوردها بلفظ أتم فيه قوله عليه السلام: «**وإِنَّ غَداً حِسَابٌ ولَا عَمَلَ**»، فقال عليه السلام:

«**فإياكم يا أهل الكوفة وطاعة الله، وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم، الذين هم أولى بطاعتكم من المستحلين المدعين من الحق ما ليس لهم، فقد ذاقوا وبال ما اجترموا، فسوف يلقون غيا ألا! وإنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم وأنا عليكم عاتب، اهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ونرى منهم ما نرضى**»[٢].

ج - الحافظ ابن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ)[٣].

د - أبو الليث السمرقندي (ت٣٨٣هـ)[٤]

هـ - الحافظ البيهقي (٤٥٨هـ)[٥].

و - الموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) أخرجها بسنده إلى عبد الرحمن السلمي.

---

(١) أنساب الأشرف: ج٢ ص١١٤ .
(٢) الفتوح: ج٢ ص٤٩١.
(٣) المصنف: ج٨ ص١٥٥ .
(٤) تفسير السمرقندي: ج٣ ص٥٢٢ .
(٥) شعب الإيمان: ج٧ ص٣٦٩.

ز - ابن كثير (ت٧٧٤هـ)[١]، وقد أعقبها بقوله: (وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر. وقد روي لها شواهد من وجوه أخر متصلة ولله الحمد والمنة) [٢].

ح - ابن حجر العسقلاني: (ت ٨٥٢هـ)، وقد أوردها في موضعين، الأول في فتح الباري، وجاء به مختصرا [٣]؛ والثاني في التغليق وقد أوردها بأسانيد وألفاظ عدة[٤].

وأورده غيرهم من الرواة والحفاظ والمحدثين، مما كشف عن أهمية المرحلة التي شهدها أمير المؤمنين (عليه السلام) والتي تتطلب معالجات جذرية -بما توافر لديه من إمكانات- للواقع الإسلامي كي لا تسير الأمة على سُنّة الولاة الذين تعمدوا خلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله).

المسألة الثانية: كشفه (عليه السلام) عن أصول وقوع الفتن في الأمة.

بعد أن ابتدأ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطابه بتحريك الضمير الجمعي للأمة -بغية إصلاحها-، قام بتحديد الدوافع التي كانت وراء تعمد الخلفاء الثلاثة الذين جلسوا في مجلس الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذين وسمهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بـ: (الولاة) ونقضهم لعهده (صلى الله عليه وآله)، فقال عليه السلام:

(١) البداية والنهاية: ج٦ ص٣٤٢ .
(٢) المناقب: ص٣٦٣ .
(٣) فتح الباري: ج١١ ص٢٠٢ .
(٤) تغليق التعليق: ج٥ ص١٥٨ .

«وإِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ مِنْ أَهْوَاءٍ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٍ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا حُكْمُ اللهَ يَتَوَلَّى فِيهَا رِجَالٌ رِجَالاً أَلَا إِنَّ الْحَقَّ لَوْ خَلَصَ لَمْ يَكُنِ اخْتِلَافٌ ولَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ لَمْ يُخَفْ عَلَى ذِي حِجًى[1] لَكِنَّه يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ[2] فَيُمْزَجَانِ فَيُجَلَّلاَنِ[3] مَعاً فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِه ونَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهَ الْحُسْنَى»[4].

فحددها بأصول ثلاثة، وهي على النحو الآتي:

أولاً - إتباع الأهواء وأثره في وقوع الفتن.

يرشد النص الشريف الى بيان الأثر الأخطر لإتباع الهوى، أي وقوع الفتن، فقد جعل بدء وقوعها في أتباع الأهواء وهي زبدة المخض من بيانه الأول في كون أتباع الهوى يصد عن الحق وان أخطر ما في هذا الصد عن الحق: هو وقوع الفتن.

ويكشف النص عن خبرته عليه السلام في استجماع القلوب للوصول بالسامع الى الإقرار بالحقيقة وأن كانت مريرة على مخالفيه، فقد بدئ قوله بتخوفه على الرعية فهو الحاكم والخليفة عليهم فضلا عن تكليفه في الإمامة ولزوم بيان ما ينجي المؤمنين به فبين خطورة أتباع الهوى في كونه الأصل في وقوع الفتن، وهو ما وقع فيه الولاة الذين سبقوه، فجر بهم الهوى إلى مرحلة أخطر من الأولى،

(١) الحجى - بالكسر -: العقل.
(٢) الضغث - بالكسر -: قبضة من حشيش مخالطة الرطب باليابس.
(٣) جللت الشيء: إذا غطيته. وفي بعض النسخ [فيجتمعان] وفي بعضها [فيجلبان].
(٤) الكافي، الكليني: ج٨ ص٥٨ .

وهي التصرف بالأحكام التي جاء بها القرآن والنبي (صلى الله عليه وآله).

ثانياً - ابتداع الأحكام وأثره في وقوع الفتن .

ينتقل عليه السلام الى الأصل الثاني في وقوع الفتن، وذلك بعد بيانه للأصل الأول في أتباع الأهواء، وهو ابتداع الأحكام الذي عمد على فعله الولاة الثلاثة الذين سبقوه (عليه السلام)، في الحكومة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد أستلزم النص الشريف بيان معنى البدعة عند المتشرعة، وهي-بعد التحقيق-:

(كل فعل لم يثبت من الشرع لا يمكن الإتيان به باعتقاد أنه من الشرع، ولكن يمكن فعله بإزاء أنه من الشرع، أو جعله شرعا للغير، وهو تشريع وإدخال في الدين وإن لم يعتقده المتشرع، وهذه هي (البدعة).

ولذا: تطلق (البدعة) على ما ابتدعه خلفاء الجور، كالأذان الثالث يوم الجمعة، وغسل الرجلين، وتثليث غسل الوجه في الوضوء، وصلاة الضحى، والجماعة في النوافل، ونحو ذلك، مع أنهم ما كانوا يعتقدون ثبوته من الشارع، وإنما أدخلوه في الدين إدخالا، بل وأن اعتقدوه أيضا.

وبالجملة: المناط في الابتداع والتشريع والإدخال في الدين: وضع شيء شرعا للغير، وجعله من أحكام الشارع له لا لنفسه، لأنه غير ممكن.

فالبدعة: فعل قرره غير الشارع شرعا لغيره من غير دليل شرعي، ولا شك في كون ذلك (بدعة) كما ترى إطلاقها عليه في جميع ما ابتدعه العامة،

مع أنه تدليس وإغراء وكذب وافتراء، فيكون محرما قطعا وأما ما لم يكن كذلك، فاطلاق البدعة عليه غير معلوم، ولم يثبت كونه بدعة وتشريعا.

قال (الصدوق) -رحمه الله- فيمن لا يحضره الفقيه، في باب حد الوضوء: (والوضوء مرة مرة، ومن توضأ مرتين لم يؤجر، ومن توضأ ثلاثا فقد أبدع)[1].

ففرق بين ما لم يثبت من الشرع وبين البدعة، وجعل المرتين مما لم يثبت من الشرع، ولذا نفى الأجر عنهما.

بل: صرح في موضع آخر من أبواب الوضوء: أن من توضأ مرتين مرتين، فقد تعدى حدود الله، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [سورة الطلاق: ١] وجعل ثلاث مرات من البدعة، لأنها مما ابتدعه العامة، فقال:

(ومن توضأ ثلاثا فقد فعل البدعة).[2]

وهذا صريح في أن كل ما لم يثبت من الشرع ليس ببدعة، ومقتضى إطلاقه عدم اشتراط الابتداع بقصد المشروعية واعتقادها، بل إذا وضعها لغيره كذلك يكون بدعة، ومن أتى به فيكون أتيا بالبدعة.

ولكن يشترط في إبداع الغير فعله لأجل أنه مشروع، لا مطلقا، فمن غسل وجهه ثلاثا لا بنية الوضوء، لا يكون مبتدعا، هذا وأما الفعل الذي لم يثبت من الشرع، ويفعله أحد من غير إراءة شرعيته للغير، فلا يحرم من هذه الجهة أصلا ولو قارنه شيء من الاعتقاد بالشرعية.

---

(١) الفقيه ١: ٢٥ / ٧٧.

(٢) الهداية: ص٨٠ .

نعم، قد يكون محرما فعله إذا لم يثبت من الشرع من جهة أخرى، ولا كلام فيه)[1].

وفي اختصار البيان لمعنى البدعة أفاد السيد أبو القاسم الخوئي (عليه رحمة الله ورضوانه):

(البدعة ادخالي ما ليس من الدين فيه، بأن يجعل ما ليس من الدين من أحكامه وقوانينه، والعبادة غير المشروعة جعلها عبادة مشروعة في الدين، ولا يصدق ذلك على قراءة سورة أو أدعية بنحو خاص، إذا كان بقصد الرجاء، لا بقصد الورود، نعم إذا ورد في مورد رواية أو دعاء فلا بأس بقراءته بعنوان مطلق الورود)[2].

أما أهل العامة فقد جاؤوا بمعنى خاص للبدعة يرتكز على الجمع بين ما هو من الدين وما ليس منه، وهو تغليط وتخليط في المفهوم يهدف الى منح عمل الولاة مشروعية ما للسنة النبوية، ولذا نجد النووي في مجموع الفقه الشافعي وعند بيانه لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«**كل بدعة ضلالة**» فيقول: (هذا من العام المخصوص، لأن البدعة كل ما عمل على غير مثال سبق.

قال العلماء: وهي خمسة أقسام واجبة ومندوبة ومحرمة ومكروهة ومباحة)[3]!!

(١) عوائد الأيام، المحقق النراقي: ص٣٢٥

(٢) صراط النجاة: ج٣ ص٤٢٩

(٣) المجموع: ج٤ ص٥١٩

ومما لا ريب فيه أن مقاصدية القول القائل بـ: (كل ما عمل على غير مثال سابق) هو عمل الولاة، ولذا قسمها علماء أهل العامة على خمسة أقسام مع إقرارهم بأن قول النبي (صلى الله عليه وآله) يصرخ بالإطلاق، فكل بدعة ضلال؛ فكيف تصبح البدعة -وهي بدعة- واجبة ومندوبة ومباحة؟!!

ولذلك: نجد أنَّ أول أمر نبَّه إلى خطورته أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) هو إتباع الهوى فأنه حجر الأساس في ابتداع الأحكام، فـ: «**يُخَالَفُ فِيهَا حُكْمُ اللهَ يَتَوَلَّى فِيهَا رِجَالٌ رِجَالاً**».

وقد تولى هؤلاء (العلماء) الولاة، فشرعوا لولاتهم ما لم يتمكنوا هم أنفسهم من تشريعه.

ثالثاً - مزج الباطل بالحق وأثره في وقوع الفتن.

ينتقل عليه السلام بعد بيانه للأصل الأول والثاني في وقوع الفتن في الأمة إلى الأصل الثالث، وهو مزج الباطل بالحق كجعلهم البدعة على خمسة أقسام ومنحها حكم الوجوب فأوجبوا على المسلمين العمل بالبدع، أي العمل بالضلال وإتيانهم بشواهد مقدماتها فاسدة كتعلم أدلة الكلام للرد على مبتدع[1] وتغافلوا عن أن أصل التعلم مباح ما لم يؤدي إلى معصية، فكان ما يضحك الثكلى أنهم أوجبوا البدعة للرد على المبتدع، أي يجب على المبتدع أن يرد على بدعته!!

لكن مكنون الأمر هو (العض بالنواجذ[2] على سنة أبي بكر وعمر وعثمان)

(١) المصدر السابق

(٢) مسند أحمد: ج٤ ص١٢٦-١٢٧، سنن الدارمي: ج١ ص٤٥؛ سنن ابن ماجة: ج١ ص١٦.

والتجاهر بأن ما أبدعوه هو برتبة السُنّة النبوية مع علمهم أن حديث العض بالنواجذ على سنة الخلفاء الثلاثة هو موضوع ومكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله، بل يكفي أن أفضل طرقه وأقواها عندهم هو طريق (ثور بن يزيد) المجاهر بعدم محبته لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وأنه كان يجالس من يجتمعون لسبه[1] -والعياذ بالله- من نواصب أهل حمص فيمتنع عن سبه ليقينه أن من سب علي بن أبي طالب عليه السلام فقد كفر، وذلك أن حكم سبه (عليه السلام) هو نفس حكم سب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما ورد عنه في الصحيح الذي أخرجه جملة من أعلام أهل السُنّة والجماعة، ومنها:

١. أخرج أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)[2] والنسائي (ت ٣٠٣هـ)[3]، وعلي بن محمد الحميري (ت ٣٢٣هـ)[4]، والحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)[5]، والمحب الطبري (ت٦٩٤هـ)[6]، والهيثمي (ت ٨٠٧هـ)[7]، وغيرهم[8]، واللفظ لأحمد، قال:

(حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله الجدلي، قال:

دخلت على أم سلمة، فقالت لي:

(١) تاريخ ابن معين: ج٢ ص٣٢٦

(٢) مسند أحمد: ج٦ ص ٣٢٣.

(٣) السنن الكبرى: ج٥ ص ١٣٣؛ خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام): ص٩٩.

(٤) جزء علي بن محمد الحميري: ص ٢٨.

(٥) المستدرك: ج٣ ص ١٢١.

(٦) الرياض النضرة: ج ٣ ص ١٢٣.

(٧) مجمع الزوائد: ج٩ ص ١٣٠.

(٨) نظم درر السمطين للزرندي: ص ١٠٥؛ الجامع الصغير للسيوطي: ج٢ ص ٦٠٨.

أيسب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكم؟!! قلت:

معاذ الله، أو سبحان الله، أو كلمة نحوها!! قالت:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«**من سب علياً فقد سبني**».

٢ـ وفي لفظ آخر أخرجه الحاكم النيسابوري، وابن عساكر عن ابي عبد الله الجدلي يقول:

(حججت وانا غلام فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي؟ فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أمتاه! قالت: يسب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم في ناديكم)؟!

قال: وأنّى ذلك؟!

قالت: فعلي بن أبي طالب؟!

قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا!!

قالت: فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى»[1].

٣ـ وفي لفظ آخر أخرجه الحافظ ابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ) بسنده؛ والموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) بسنده، عن حماد، عن علي بن زيد، عن سعيد بن

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص ١٢١؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٤٢ ص٥٣٣.

جبير؛ والحافظ الكنجي بالإسناد إلى القاضي أبي عمر الهاشمي بعين السند واللفظ لابن المغازلي، عن علي بن عبد الله عباس، قال:

(كنت مع عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير يقوده، فمرّ على ضفة زمزم، فإذا بقوم من أهل الشام يسبون علياً (عليه السلام)، فقال لسعيد:

(ردني إليهم، فوقف عليهم فقال: أيكم الساب لله عز وجل؟ فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد يسُبُ الله عز وجل! قال:

فأيكم الساب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! قالوا:

سبحان الله ما فينا أحد يسب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:

فأيكم الساب علي بن أبي طالب. فقالوا:

أما هذا فقد كان!! قال: فأشهد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سمعته أذناي ووعاه قلبي، يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام):

«**يا علي من سبك فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عز وجل؛ ومن سب الله عز وجل أكبَّهُ الله على منخريه في النار**» ثم ولى عنهم، ثم قال:

يا بني ماذا رأيتهم صنعوا؟ فقلت له: يا أبه:

نظروا إليك بأعين محمرة نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال: زدني فداك أبوك! فقلت:

خزر العيون نواكس أبصارهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبوك! قلت: ليس عندي مزيد، فقال: لكن عندي فداك أبوك:

أحياؤهم عار على أمواتهم والميتون مسبة للغابر)[1].

٤- وفي لفظ آخر يُظهر مصير الساب للإمام علي (عليه السلام) في يوم القيامة، ما أخرجه ابن مخلد القرطبي (ت ٢٧٦هـ)[2]، وابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)[3] وأبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)[4] والطبراني (ت ٣٦٠هـ)[5]؛ والحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)[6] وغيرهم[7]، واللفظ للحاكم عن علي بن أبي طلحة، قال:

(حججنا فمررنا على الحسن بن علي [عليه السلام] ومعنا معاوية بن خديج[8]، فقيل للحسن إن هذا معاوية بن خديج الساب لعلي.

فقال: عليَّ به؛ فأتي به فقال: أنت الساب لعلي؟!

(١) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص٢٦٢؛ المناقب للموفق الخوارزمي: ص١٣٧؛ كفاية الطالب للكنجي: ص٨٢؛ الأمالي للصدوق: ص١٥٧؛ الرياض النظرة للمحب الطبري: ج٣ ص١٢٢؛ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص١٠٥؛ مروج الذهب للمسعودي: ج٢ ص٤٢٣؛ حياة الحيوان للدميري: ج١ ص٢٤١؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج١ ص٥٩٠؛ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن ابي طالب للدمشقي الباعوني: ج١ ص٦٥؛ شرح الأخبار للقاضي الغربي: ج١ ص١٥٥.

(٢) ماروي في الحوض والكوثر: ص١٣٥.

(٣) السنة: ص٣٤٦.

(٤) مسند أبي يعلى: ج١٢ص١٤٠.

(٥) المعجم الكبير: ج٣ص٩٢.

(٦) المستدرك على الصحيحين: ج٣ص١٣٨.

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٥٩ص٢٧.

(٨) معاوية بن خديج الخولاني، صحب النبي (صلى الله عليه وآله) وروى عن عمر بن الخطاب وكان عثمانيا، (طبقات ابن سعد: ج٧ص٥٠٣؛ التاريخ الكبير للبخاري: ج٧ص٣٢٨).

فقال: ما فعلت، فقال:

والله إن لقيته، وما أحسبك تلقاه يوم القيامة لتجده، قائما على حوض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يذود عنه رايات المنافقين بيده عصا من عوسج، حدثنيه الصادق المصدوق (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد خاب من افترى).

وأعقبه الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

وقد بنى فقهاء المذاهب الأربعة على هذه الأحاديث الحكم بكفر الساب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقتله[2].

ولذا: نجد ثور بن يزيد يجالس السبابين لأمير المؤمنين (عليه السلام)، لكونه قتل جده في صفين ولكن يمتنع عن سبه، وهو ما صرّح به ابن سعد، وابن حجر، والذهبي:

(إنَّه كان قدرياً، وكان جدُّه قُتل يوم صفين مَعَ معاوية، فكانَ ثورٌ إذا ذَكرَ علياً قالَ: لا أُحبُّ رجلاً قتل جدّي)[3].

وقال الذهبي: (كان من أوعية العلم لولا بدعته)[4].

وما حسبك من أمرئ يود من حاد الله ورسوله صلى الله عليه واله وناصب العداء لعلي (عليه الصلاة والسلام) وقتل في حربه لله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وما حسبك من أمرئ تأخذه حمية الجاهلية لجده فيضرب

(١) المستدرك: ج ٣ ص ١٣٨.

(٢) لمزيد من الاطلاع ينظر: أرث النبي (صلى الله عليه واله) في المذاهب الخمسة بين منع النبوة ودفع فاطمة عليها السلام، السيد نبيل الحسني: ص١١٨-١٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ج٧ ص٤٦٧؛ تهذيب التهذيب: ج ٢/ ص٣٠.

(٤) سير أعلام النبلاء: ج ٦ / ص ٣٤٤.

بعرض الجدار حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في علي (عليه الصلاة والسلام)، وهو القائل:

«عهد إليَّ النبي صلى الله عليه [وآله]، أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» [1].

وعليه:

يتجلى لنا إن الأصل وراء اختلاق حديث (العض بالنواجذ على سنة الخلفاء) وغيره من الأحاديث هو لمحاربة الإمام علي (عليه السلام)، عبر وسيلة الحديث الموضوع المكذوب ونسبه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذه الحرب الفكرية والإعلامية والعقدية.

فإذا كان القوم يجاهرون بسبّه، بل وقتاله وسفك دمه ودم ولده وحليلته وهي بضعة النبوة (عليها السلام)، فكيف لا يستخدمون وسيلة الوضع والكذب على رسول الله في رواية الحديث وتدعيمه بلفظ (الصحيح) في حربهم لعلي (عليه السلام) وهو ما كشفه النص الشريف من الأصل الثالث من أصول وقوع الفتن والتي رسخت في المجتمع الإسلامي، فيقول عليه السلام:

«أَلَا إِنَّ الْحَقَّ لَوْ خَلَصَ لَمْ يَكُنِ اخْتِلَافٌ ولَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ لَمْ يُخَفْ عَلَى ذِي حِجًى [2] لَكِنَّه يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ [3] فَيُمْزَجَانِ

---

(١) مسند أحمد: ج١ ص٩٥؛ سنن الترمذي، ج٥ ص٣٠٦؛ مسند أبو يعلى الموصلي: ج١ ص٢٥١؛ سنن النسائي: ج٨ ص١١٨ .

(٢) الحجى - بالكسر -: العقل.

(٣) الضغث - بالكسر -: قبضة من حشيش مخالطة الرطب باليابس.

فَيُجَلَّلَانِ[1] مَعاً فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَىَ أَوْلِيَائِه ونَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهَ الْحُسْنَى»[2].

(١) جللت الشيء: إذا غطيته. وفي بعض النسخ [فيجتمعان] وفي بعضها [فيجلبان].

(٢) الكافي، الكليني: ج٨ ص٥٩

المبحث الثاني

دراسة الآثار التي أحدثتها أعمال الولاة في وقوع الفتن في الأمة وتأصيل الرسوم المسيئة

- توطئة:

حينما يكون التشخيص لما أصاب الأمة الإسلامية من أمرئ جعله الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) إماما على المسلمين وخبيرا بما اعتراهم من الوهن والضعف والاختلال والعمى في البصيرة فأن علاجه يكون دقيقا وأدواته الإصلاحية نافذة في العقول وآخذة للقلوب ومستجمعة للرأي.

من هنا:

فإن دراسة خطابه (عليه السلام) ودواعيه وما أحاط به من ظروف مكانية وزمانية ترشد إلى أنه عليه الصلاة والسلام قد تدرج في بيان الخلل وما يناسبه من العلاج، فابتدأ بمخاطبة الضمير الجمعي للأمة ثم أنعطف على بيان محددات أصول الفتن، ثم بيان تحقق وقوع الفتن في الأمة، وتشخيص أدواتها وأنهم شركاء في نمائها وبقائها في الأمة، مستعينا في بيانه ومحتجا بتشخيصه بما أخبرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل، وقد تحقق ذلك فيهم.

ومن ثم: لا يحق لأحد منهم أن يلومه فيما يقول أو يظهر من الحقائق المريرة على كثير منهم، سواء من كانوا في محضره من المسلمين أو الذين سيسألون أنفسهم في يوم ما: ما الذي جعل المسلمين بهذا الحال من التردي والاقتتال،

ونهب خيراتهم، وتمكن العدو منهم، وهم خير أمة أخرجت للناس؟ وكأن لعنة حلت بهم أو دعوة مستجابة قد لاحقتهم!!

فلماذا يساء لنبيهم (صلى الله عليه وآله) بهذه الرسوم والصوّر، ويسخر من رمزهم الأعلى، أفهم المقصرون والمتسببون أم أن المستهزئين هم المسؤولون؟!

هذا: ما كشفه خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، عبر سلسلة من الحقائق، وهي على النحو الآتي:

المسألة الأولى: كاشفية خطاب الإمام علي (عليه السلام) عن أثار سُنّة الشيخين في السُنّة النبوية ووسمها بالشرعية.

قال (عليه الصلاة والسلام):

«إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَ [صلى الله عليه وآله] يَقُولُ:

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسَتْكُمْ فِتْنَةٌ، يَرْبُو[1] فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ، وقَدْ أَتَى النَّاسُ مُنْكَراً، ثُمَّ تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ، وتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، وتَدُقُّهُمُ الْفِتْنَةُ كَمَا تَدُقُّ النَّارُ الْحَطَبَ، وكَمَا تَدُقُّ الرَّحَى بِثِفَالِهَا[2]، ويَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ اللهَ، ويَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، ويَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِأَعْمَالِ الآخِرَةِ»[3].

---

(١) ي يكبر وهو كناية عن امتدادها.

(٢) بالمثلثة والفاء في النهاية: في حديث على (عليه السلام): «وتدقهم الفتن دق الرحا بثفالها»، والثفال -بالكسر-: جلدة تبسط تحت رحا اليد ليقع عليها الدقيق، ويسمى الحجر الأسفل: ثفالا بها، والمعنى انها تدقهم دق الرحا للحب إذا كانت مثفلة ولا تثفل إلا عند الطحن.

(٣) الكافي، الكليني: ج٨ ص٥٩.

أولاً: بيان الفتنة التي (يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ).

إنّ الفتنة التي (**يَرْبُو**[١] **فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، يُجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ**) لاسيما الصحابة هو التثقيف على سُنّة الخلافة عوضًا من التثقيف على سُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته بأيام قليلة وتحديدًا عند الخطبة الأولى للخليفة الأول، فكان هذا التثقيف والمنهج هو الحجر الأساس في مشروع الفتنة التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي يربوا عليه الصغير ويهرم فيه الكبير، ويتخذونها سنة فاذا غير منها شيء، قيل قد غيرت السُنّة.

فمن السُنّة النبوية التي أسست على التصديق بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي بذل فيها النبي الأعظم جهدًا مضنيًا حتى قال (صلى الله عليه وآله):

«**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**»[٢].

إلى منهج الخليفة الذي أسس على عدم المطالبة بالعمل بسُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل معاقبة من يطالب بذلك بعقوبات أقلها الجلد أو قطع الأيدي والأرجل وانتهاءً بقطع الرأس -كما سيمر بيانه- فضلًا عن العمل على محو السُنّة النبوية عبر حرق الأحاديث ومنع الناس من التحديث بها، وهو على النحو الآتي:

---

(١) يكبر، وهو كناية عن أمتدادها.

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب: ج٣ ص٤٢؛ تفسير الرازي: ج٤ ص١٧٥.

ألف - إعلان الخليفة إيقاف العمل بسُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في اليوم الأول من الخلافة.

إنّ وجود الفارق في مصدر السُنّة بين النبي (صلى الله عليه وآله) والخليفة قد دعا الخليفة الأول للمسلمين -والأصح الوالي الأول كما وسمه أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)- إلى الإعلان عن إيقاف العمل بسنّة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كما صرّح في خطبته الأولى في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد البيعة في سقيفة بني ساعدة، فقد أوكل أبو بكر السبب في هذا الإعلان إلى الاختلاف في مصدر السنة النبوية عنه في الخلافة، وتحديدًا فيه شخصيًّا، فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) يستند إلى الوحي في القول والعمل، وأما أبو بكر فله شيطان يعتريه لاسيما إذا غضب.

ومن ثم فالتباين واضح بين المصدرين، بين مصدر النبوة ومصدر الخلافة، ومن هذا الاختلاف بين المصدرين اختلفت العقيدة والأحكام، واختلف بإزائهما الفكر والمنهج والتشريع، وعلى المسلمين تقبل هذا الواقع الجديد وبخلافه تكون العقوبة بين الجلد والقتل، وهو ما صرّحت به النصوص، وهي على النحو الآتي:

١ـ أخرج الحافظ ابن عساكر الدمشقي، والحافظ الزيلعي بسنده عن الحسن، قال:

(لما أستخلف أبو بكر تكلم بكلام والله ما تكلم به أحد غيره، فقال:

أيها الناس تكلفوني سُنّة نبيكم محمد -(صلى الله عليه وآله)- وإن الله كان يعصم نبيه بالوحي، إني والله لوددت أنكم كفيتموني، وإن لي شيطانا يعتريني فإذا اعتراني فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم وتعاهدوني بأنفسكم إن

استقمت فاتبعوني وإن زغت فقوموني)[1].

٢- وبلفظ أخر رواه ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، وابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، وابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، والزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) جميعًا عن وهب بن جرير، قال:

حدثنا أبي، قال: سمعت الحسن، قال: (لما بويع أبو بكر - قال -:

أما بعد، فإني وليت هذا الأمر وأنا له كاره، ووالله لوددت بعضكم كفانيه، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله -(صلى الله عليه وآله)- لم أقم به!

كان رسول الله -(صلى الله عليه وآله)- عبدًا أكرمه الله بالوحي وعصمة به، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم، فراعوني؛ فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني، وأن رأيتموني زغت فقوموني وأعلموا أن لي شيطانًا يعتريني!! فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني!! لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم)[2].

٣- وبلفظ آخر أخرجه عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ) عن الحسن قال:

(إن أبا بكر خطب، فقال:

أما والله ما أنا بخير منكم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهًا ولوددت لو أن فيكم من يكفيني، أفتظنّون أني أعمل فيكم سنة رسول الله -(صلى الله عليه وآله)- إذا لا أقوم لها!!!

---

(١) تاريخ دمشق: ج٣٠ ص ٣٠٣، تخريج الأحاديث للزيلعي: ج١ ص٤٨١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٣ ص ٢١٢؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٣٠ ص٣٠٣؛ المنتظم لابن الجوزي: ج٤ ص ٦٩؛ تخريج الأحاديث للزيلعي: ج ١ ص٤٨٢.

إن رسول الله -(صلى الله عليه وآله)- كان يعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإن لي شيطانًا يعتريني!!! فإذا غضبت فاجتنبوني!!! لا أوثر في أشعاركم ولا أبشاركم!!! إلا فراعوني، فإن استقمت فأعيوني، وإن زغت فقوموني)[1].

فكانت هذه الخطبة هي الحجر الأول الذي وضع في بناء مشروع عقيدة التوحيد الجديدة بمفهومه الذي أراده أبو بكر والمرتكز على عدم مطالبته العمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذي جاء بألفاظ، وهي:

١ـ (ألا وأنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم أقم به).

٢ـ (يا أيها الناس تكلفوني بسنة نبيكم محمد - (صلى الله عليه وآله) - وإن الله كان يعصم نبيه بالوحي).

٣ـ (أفتظنّون أني أعمل فيكم بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا لا أقوم لها).

ولا شك إن مركوز هذا المفهوم الجديد هو الفصل بين سنة النبي (صلى الله عليه وآله) وسنة الخليفة، وخلق البيئة الفكرية المناسبة والحاضنة لها لتنمو وتثمر في الأمة؛ فعقيدة التوحيد في السنة النبوية ترتكز على الملازمة بين الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وإن أي فصل بينهما يؤدي إلى انهيار عقيدة التوحيد التي أسس لها القرآن الكريم في العديد من الآيات المباركة، منها:

١ـ الملازمة بين طاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) المقتضية لجميع مفاصل الحياة كما جاءت الآية المباركة بقوله عز وجل:

(١) المصنف للصنعاني: ج١ ص٣٣٦ برقم (٢٠٧٠١)، تخريج الأحاديث للزيلعي ج١ ص٤٨٢.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

٢ـ وفي الملازمة بين معصية الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) في جميع ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) قولًا وفعلًا وتقريرًا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[2].

بل قد جاءت الآيات المباركة في هذين الأصلين المرتكزين على عقيدة التوحيد في جزاء الطاعة لله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعصيتهما في مواضع عدة من القرآن الكريم وذلك لبيان خطورة الإعراض عن طاعته أو عن العمل بسنته (صلى الله عليه وآله) والواقع بمعصيتهما والمشتملة ابتداء على ترك سنة النبي (صلى الله عليه وآله)؛ ومن ثم كيف يكون حجم المعصية في المنع من العمل بها ومن أعلى المناصب القيادية للأمة وهي الخلافة، بحجة أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان معصومًا ومسددًا بالوحي، وإن الخليفة له شيطان يعتريه؛ ومن ثم فهو لا يعمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بل سيعاقب من يطالبه بالعمل بها.

فكانت هذه الفتنة التي أخبر عنها النبي (صلى الله عليه وآله) كأنها قطع من الليل المظلم، وأنها أخوف من فتنة الدجال فقد أصابت المجتمع الإسلامي، وفي ظرف كان في غاية الصعوبة والمحنة، فبالأمس القريب فجع

(١) النساء، الآية: ١٣.

(٢) النساء، الآية: ١٤.

المسلمون بفقد نبيهم (صلى الله عليه وآله)، وانقطع عنهم الوحي، وأغلق باب الرحمة الذي أرسل للعالمين؛ واليوم يمنعون من المطالبة بالعمل بسنته وهديه، والقرآن يناديهم بقوله:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[2].

فقد عمت هذه الفتنة جميع المسلمين، وهو ما سنعرض له في ثانيًا.

باء - حرق الأحاديث النبوية بعد منع العمل بالسُنّة.

لم يزل الخليفة الأول يؤسس لثقافة جديدة ويسعى جاهدًا لخلق البيئة الفكرية والاجتماعية لها، وضمن مراحل من العمل الدؤوب -كما سيمر بيانه عبر هذا المبحث- لتحقيق سنة جديدة (**يربوا عليها الصغير ويهرم عليها الكبير**)، وهو ما كشفته النصوص التاريخية والحديثية.

فبعد منعه المطالبة بالعمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعاقبة المعترض أو من يقوم بمطالبته بالرجوع إلى السنة النبوية والعمل بها.

ينتقل أبو بكر إلى مرحلة جديدة مستخدمًا فيها وسيلة حرق الأحاديث النبوية المكتوبة على الورق أو الجلود وغيرها من الوسائل التي كانت

(١) الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) الأنفال، الآية: ٢٥.

مستخدمة للكتابة وتدوين الحديث النبوي الشريف آنذاك.

وذلك: لأنه يدرك أن منع المسلمين من مطالبته شخصيًا بالعمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أن يقوم بها -بلحاظ أنه رأس الهرم القيادي للمسلمين وبما يقتضيه عنوان الخلافة وتصريحه بعدم القيام أو العمل بذلك- لا يجدي نفعًا في خلق البيئة الفكرية لسنة الخلافة التي أريد منها أن تكون بديلًا عن سنة النبي (صلى الله عليه وآله)، وذلك لسببين أساسيين:

السبب الأول: ارتكاز السنة النبوية التي تأخذ بأعناق المسلمين إلى العمل بهذه السنة والحذر من مخالفتها، لأن في ذلك هلاك المسلم وضياعه في الدنيا والآخرة، لذا: لا بد من تغيير هذه العقيدة عبر تقديم مفاهيم جديدة، منها:

١- إنّ الخليفة غير ملزم بالعمل بالسنة النبوية لكونه غير معصوم وله شيطان يعتريه.

٢- إنّ طاعة الخليفة ملزمة أيضًا للمسلمين وذلك عبر البيعة التي له في أعناقهم ومن ثم عليهم طاعته وحمايته والدفاع عنه وعن خلافته.

٣- إن للخليفة تشريعاته واستحساناته وآراءه الخاصة وهي ليست بالضرورة أن تتفق مع السنة النبوية والقرآن، بل قد تأتي هذه التشريعات بمخالفات علنية وصريحة للقران والسنة على قاعدة المصالح المرسلة ودفع المفاسد التي يقررها الخليفة.

وفي كل الأحوال هي ملزمة لمن بايع الخليفة أو حتى لمن لم يبايع فهو ملزم بها ما دام يعيش تحت حكومة الخليفة فهو خاضع لهذه التشريعات.

والسبب الثاني: إنّ بقاء الأحاديث النبوية مكتوبة ومدونة سيعمل على بقائها، ومن ثم سيعود المسلمون إلى العقيدة بها والتي تلزم المسلم بتقديم السنة النبوية والعمل بها على جميع السنن الأخرى سواء كانت هذه السنن الجديدة تحت عنوان (الخلافة الراشدة) أو (الخلافة الأموية) أو (العباسية) وهكذا.

وعليه:

ستكون نتيجة جهوده في بناء الثقافة الجديدة غير مجدية فسرعان ما سيعود الناس إلى السنة النبوية؛ وهذا يعني أن لا وجود للثقافة الجديدة والعقيدة الجديدة، ولا وجود للخلافة.

مما استلزم الإقدام على حرق الأحاديث النبوية ومحو آثارها في المجتمع الإسلامي، وفي هذه الخطوة يرتكز فعل الخليفة على علة جديدة ليستطيع تمرير عملية الحرق والإتلاف للأحاديث النبوية كما تحدثنا عائشة بنت أبي بكر، فتقول:

(جمع أبي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيرًا، قالت: فغمني، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟

فلما أصبح، قال: بنية، هلمي الأحاديث التي عندك؛ فجئته بها، فدعا بنار فحرقها!!!

فقلت: لم أحرقتها؟!

قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد

ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك)[1].

ولقد حاول الحافظ ابن كثير، والحافظ السيوطي، إيجاد توجيه لهذا الفعل[2]؛ أما الحافظ الذهبي فقد عقّب على الحديث قائلاً: (فهذا لا يصح والله أعلم)[3].

ولا شك أن الأحاديث النبوية أكثر بكثير من هذا العدد الذي ذكرته عائشة أو الذي حاولت أن تقدمه للناس على أن عدد الأحاديث التي جمعها أبو بكر ثم أحرقها هي بهذا العدد أو لعله تصحيف من الرواة فقد تكون خمس مائة ألف مثلًا فمحيت كلمة ألف، أو لعلها كانت كما ذكرت عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) إلا أنها كانت مصنفة ضمن موضوع ما، وعنوان محدد، قد يتعلق بالصحابة، أو بحدث السقيفة، أو بعترة النبي (صلى الله عليه وآله)، أو بعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه خاصة، أو به شخصيًّا، أي بأبي بكر، أو بوقوع الفتن كخروج عائشة إلى حرب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أو غير ذلك.

ومهما يكن من أمرٍ فإن حرق الأحاديث النبوية هو وسيلة لتحقيق الثقافة الجديدة المرتكزة على سنة الخلافة مقابل السنة النبوية.

ولذا:

لا يزال السؤال قائمًا وملحًّا لكل باحث وقارئ، وهو:

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٥؛ الرياض النضرة للمحب الطبري: ج١ ص٢٠٠؛ كنز العمال: ج١٠، ص٢٨٦.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٠، ص ٢٨٦.

(٣) تذكرة الحفاظ: ج١، ص ٥.

بأي سُنَّة كان ولا يزال (علماء السُنّة والجماعة) يطالبون المسلمين العمل بها: أهي سُنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي لم يعمل بها أبو بكر ونهى المسلمين عن المطالبة بها والتي حرقها!! أم سُنّته هو والتي جهد على إرسائها في المجتمع الإسلامي (ليربوا عليها الصغير ويهرم عليها الكبير) ولتثمر في كربلاء بقتل ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسبي بناته كأنهن من نساء الأعاجم؟!

جيم - منع المسلمين من التحديث بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله).

بعد أن تدرج الخليفة في خلق البيئة الفكرية لإرساء سُنة الخلافة في المجتمع الإسلامي، لكي تحل محل السُنة النبوية فبدأ بمنع العمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكونه غير معصوم وإن له شيطانًا يعتريه؛ ثم الانتقال إلى حرق الأحاديث النبوية في المرحلة الثانية، لينتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثالثة، وهي: منع الناس من التحديث بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فكانت هذه الوسيلة على النحو الآتي:

روى الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) عن أبي مليكة، قال:

(إن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال:

إنكم تحدثون عن رسول الله - (صلى الله عليه وآله) - أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا! فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه)[1].

والحديث يرشد إلى جملة من الأمور:

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٣٢.

١ - إنّ هذا (الجمع) الذي عبّر عنه الصحابي أبو مليكة هو للصحابة من المهاجرين والأنصار الذين سمعوا النبي (صلى الله عليه وآله) وشهدوا سيرته وحياته، ومن ثم فالمنع كان للصحابة جميعًا.

٢ - إنّ هذا الاختلاف في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي ذكره أبو بكر يفرض وجود أمور عدة، منها:

أ: إنّ فيهم من كان يزيد أو ينقص في الحديث النبوي إما عامدًا أو ساهيًا.

ب: إنّ فيهم المُتقوِّل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاسيما وأن طبقة المنافقين والمؤلفة قلوبهم والطلقاء وغيرهم، تشملهم صفة الصحبة كما حددها علماء السُنّة والجماعة.

ج: إنّ هذا الاختلاف يدعو إلى وجوب أن يكون للأمة إمام منصوص عليه من الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) يرجع الناس إليه بعد نبيهم في معرفة شريعة الله تعالى، وحلال محمد (صلى الله عليه وآله) وحرامه.

د: إنّ هذا الاختلاف يدل على أن الأمة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يمكن لها أن تنجو ما لم تتمسك بالثقلين كتاب الله وعترة نبيها (صلى الله عليه وآله).

فمن تمسك بهم نجا ومن تخلف عنهم هلك في المحدثات والشبهات والبدع.

٣- إنّ منع الناس من الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحجة منع الاختلاف في الحديث لا يحقق منع الاختلاف؛ بل إنه ليزيدهم اختلافًا، وذلك أن القرآن الكريم فيه المحكم والمتشابه، والعام والخاص، والمطلق والمقيد وغير ذلك؛ فأنى للناس فهم القرآن وبيان حلاله وحرامه وقد

اختلفوا في بيان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لشريعة الإسلام، أي: إذا كان الناس كما يدّعي أبو بكر قد اختلفوا في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بين ظهرانيهم يعلمهم ويزكيهم، صادعًا بالنذارة يدعو إلى بيان شريعة ربه ليلًا ونهارًا سرًا وجهرًا؛ فكيف بهم في فهم مراد الوحي وتطبيق شرع الله تعالى وقد قيده الله تعالى بأهله، وهم أهل الذكر؛ وهم الراسخون في العلم فقال عزّ وجل:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾[2].

ومن ثم لم يكن الداعي الحقيقي في منع الناس من التحديث بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الاختلاف في هذه الأحاديث، وإنما وسيلة أخرى من وسائل سُنّة الخلافة وعقيدتها الجديدة المقتضية -بحسب هذه النصوص وغيرها. كما سيمر في المسائل القادمة التي سنتناول فيها الإجراءات المتممة لما بدأه أبو بكر- والمرتكزة على حجب سُنّة النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرته والعمل على إرساء سُنّة الشيخين.

ثانيا: بيان الفتنة التي (يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ).

تمتاز الفترة التي تولى فيها عمر بن الخطاب الولاية على المسلمين والتي عرفت تأريخيًا بـ: (الخلافة الراشدة) بأنها الأشد صرامة في إثبات سُنّة الخلافة،

(١) سورة النحل، الآية:٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٧.

والتي عرفت لاحقا بعد أن ربى عليها الصغير وهرم عليها الكبير بـ (سُنّة الشيخين) وجعلها بديلًا عن سُنّة النبي (صلى الله عليه وآله) بشتى الوسائل، -التي استطعنا أن نجمع جزءًا يسيرًا منها من بطون الكتب والمصادر الإسلامية- لنجد في محصلة هذه الإجراءات التي جاء بها عمر بن الخطاب بأنّه استطاع أن يرّسخ هذه السُنّة في المجتمع الإسلامي، وتغليبها على سُنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المستوى الذي نادى بها المسلمون وجعلوها شرطا في استحقاق منصب الخلافة وتولي الحكومة الإسلامية بعد عمر بن الخطاب، وهو ما حدث في اشتراط أهل الشورى الذين عينهم ابن الخطاب، فلما عرض الشرط على أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) رفض ذلك؛ ووافق عليه عثمان بن عفان.

وصارت هذه السُنّة العمرية شعارًا يحتج به على الإمام علي (عليه السلام) حينما أراد منع صلاة التراويح في مسجد الكوفة فصاحوا (وا سُنّة عمراه)[١] وغير ذلك من الشواهد الكثيرة والكاشفة عن أرساء سُنّة الشيخين، وكل ذلك يعود الأصل فيه لإجراءات عمر بن الخطاب في تقديم عقيدة جديدة ترتكز على شرعنة سُنّة الخلافة وتقديمها على سُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما سيمر بيانه في جملة من الأمور، وهي على النحو الآتي:

ألف - منع تدوين سُنّة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

تُظهر النصوص أن أولى اهتمامات عمر بن الخطاب هي حجب جميع المعارف التي بين يدي الناس، وأن أهم هذه المعارف التي لزم منعها وحجبها

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٢، ص٢٨٣.

في عهده هي سُنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) انطلاقًا من اعتقاده بأن المصدر الوحيد الذي يلزم الاعتماد عليه والأخذ منه هو القرآن الكريم.

مما يعني: فتح المجال للاجتهادات والآراء والتأويلات، وإذ إن عمر بن الخطاب كان على رأس الهرم في قيادة الخلافة الإسلامية آنذاك فهذا يحتم أن يكون له الرأي الأول في بيان ما يحتاج إليه الناس من أمور دينهم ودنياهم.

بمعنى أدق: أن ذلك سيجعل طريقته ورأيه وسنّته هي البديل عن السنّة النبوية بل وجميع ما يتعلق بالإسلام فكرًا وعقيدة وشريعة، وهو ما سعى إليه جاهدا خلال توليه الحكم.

أما هذه النصوص فسنوردها ضمن نقاط ونجعل لكل نص عنوانًا كما صدّرنا هذه الفقرة بعنوان: منع تدوين سُنة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقد روى الخطيب البغدادي، وابن عبد البر، وغيرهما، عن الزهري، عن عروة بن الزبير:

(إنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السُنن، فاستشار فيها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأشار عليه عامتهم بذلك، فلبث عمر شهرًا يستخير الله في ذلك شاكًا فيه؛ ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له، فقال: إني قد كنت ذكرت لكم من كتاب السُنن ما قد علمتم، ثم تذكرت، فإذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبًا، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله؛ وإني والله لا ألبس بشيء أبدًا، فترك كتاب السُنّن)[1].

(١) تقييد العلم أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: ص٥٠١؛ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ص٦٤؛ ذم الكلام وأهله، الأنصاري الهروي: ج٣، ص٢٤٩.

ويكشف النص عن جملة من الأمور:

١ - لقد حاول البعض تبرير هذا الفعل الذي أقدم عليه عمر بن الخطاب وتخريج معنى يدفع حقيقة منع تدوين السنة النبوية ومحوها - كما سيمر - إلا أن كل تبرير مهما كان لا يمكن أن يلزم الباحث الثبت والقارئ الفهم من تلميع هذا الفعل الذي أقدم عليه الخليفة[1].

٢- يكشف النص أن الدافع في استشارة عمر بن الخطاب صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو لمعرفة توجهاتهم اتجاه السنة النبوية فلو وجد له أنصارًا في منع تدوينها لاستعان بهم إلا أنه وجد العكس فقد أشار جميع الصحابة عليه بكتابة السنّة النبوية مما دفعه إلى التفكير شهرًا كاملًا في إيجاد مخرج معقول يسد فيه هذا الرأي الجامع عند الصحابة؛ فكان المخرج حرصه على القرآن، الذي لم يصمد أمام منهجه في إيجاد السنُّة البديلة والفكر البديل؛ وإلاّ حتى قراءة القرآن كذاك لم تسلم من وسائل عمر ابن الخطاب؛ كما سيمر.

٣- لا شك أن هناك أحاديث كثيرة يتداولها المسلمون اليوم في وجوب اتباع الجماعة ولزوم الصحابة والتمسك بالسلف الصالح؛ والسؤال المطروح: أين عمر بن الخطاب من جماعة صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهؤلاء السلف الصالح الذين أجمعوا على كتابة سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقدم على مخالفة الجماعة، والصحابة، والسلف الصالح، ويعمل برأيه ويلزمهم به؟!

(١) سنن الدارمي: ج١، ص ٨٥، تبرير هذا الفعل العمري.

أليس هذا الفعل خروجًا على الجماعة وتعريضًا بالسلف الصالح؟! أم أن هذه الشعارات لا واقع لها إلا عندما تتقدم المصالح والمناصب والأمراض القلبية.

٤- أما مقارنته لصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أهل الكتاب وهم حملة القرآن والسُنّن (وخير أهل القرون) فهذا يحتاج من المسلمين إلى مراجعة رأيهم في صحابة النبي (صلى الله عليه وآله)؛ إذ لعل تقييم عمر بن الخطاب لهم صحيح وممكن، فيكون تركهم للقرآن حقيقة واقعة أراد ابن الخطاب منع وقوعها ضمن مشروعه في تحقيق العقيدة الجديدة.

٥- أو أن الدافع لهذا الإجراء الذي أقدم عليه عمر بن الخطاب هو إيجاد الذريعة في منع الصحابة من الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ وهذا ما نجده في الفقرة الآتية.

باء- منعه الصحابة من رواية أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

إنّ ما يؤكد حقيقة تحجيم السُنّة النبوية وهجرها في جملة من الوسائل التي أقدم عليها عمر بن الخطاب هي تلك الإجراءات المتتابعة التي استعملها ابن الخطاب في منعه صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التحديث بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما دلت عليه النصوص الآتية:

١- أخرج الحاكم النيسابوري عن قرظة بن كعب، قال:

(خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطاب، إلى صرار فتوضّأ، ثم قال:

أتدرون لم مشيت معكم؟

قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم، مشيت معنا.

قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تبدونهم بالأحاديث فيشغلونكم، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم، وأمضوا وأنا شريككم.

فلما قدم قرظة -العراق- قالوا: حدّثنا؟

قال نهانا الخطاب)[1].

٢- وفي لفظ آخر أخرجه ابن ماجة، عن الشعبي، عن قرظة بن كعب، قال:

(بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيعنا، فمشى معنا إلى موضع يقال له صرار، فقال:

أتدرون لم مشيت معكم؟

قال، قلنا: لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم ولحق الأنصار.

قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لمشاي معكم؛ إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المرجل؛ فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم وقالوا: أصحاب محمد؛ فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم، ثم أنا شريككم)[2].

قال قرظة بن كعب:

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج١، ص١٠٢.

(٢) سنن ابن ماجة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ج١، ص١٢.

(وأنا كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله) وإني لمن أحفظهم له، فإذا ذكرت وصية عمر سكت)[1]!!!

٣- إنّ الحاكم النيسابوري لم يصرّح باسم القرية التي توجه إليها مجموعة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أن الدارمي المتوفى (سنة ٢٥٥ هـ) قد صرّح عنها كما في الرواية الآتية التي أخرجها عن طريق (أشعث ابن سوار عن الشعبي، عن قرظة بن كعب، قال:

بعث عمر بن الخطاب رهطًا من الأنصار إلى الكوفة فبعثني معهم فجعل يمشي معنا حتى أتى صرار، وصرار ماء في طريق المدينة، فجعل ينفض الغبار عن رجليه، ثم قال: إنكم تأتون الكوفة، فتأتون قومًا لهم أزيز بالقرآن، فيأتونكم فيقولون قدم أصحاب محمد، قدم أصحاب محمد - صلى الله عليه وآله -، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فاعلموا أن أسبغ الوضوء ثلاث وثنتان تجزيان، ثم قال: إنكم تأتون الكوفة فتأتون قوما لهم أزيز بالقرآن، فيقولون: قدم أصحاب محمد، قدم أصحاب محمد - صلى الله عليه وآله - فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم، وأنا شريككم فيه.

قال قرظة: وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) وإني لمن أحفظهم له، فإذا ذكرت وصية عمر سكت)[2].

---

(١) سنن الدرامي: ج١، ص٨٥.

(٢) سنن الدارمي باب: من هاب الفتيا مخافة السقط، ج١، ص ٨٥.

٤- عن السائب بن يزيد قال:

(سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة لتتركن الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو لألحقنك بأرض دوس)، وقال لكعب:

(لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة)[1].

والأحاديث تكشف عن أمور:

١- لا شك أن العقول حينما يطبق عليها التعصب فإنها لا تهتدي الفهم، ولذلك فقد فهم البعض هذا الأمر الصريح من عمر بن الخطاب في منع الصحابة من الحديث بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أن المراد من هذا الفعل العمري ليس السنن والفرائض، فقال بعضهم:

(ومعناه عندي الحديث عن أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس السنن والفرائض)[2].

والسؤال المطروح: وهل السُنّة إلا قول النبي (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره؟ فمنذ متى أصبحت حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مقسّمة إلى سنن وفرائض وقصص حياتية؟ سبحان الله عما تصفون!!

٢- إنّ قول عمر بن الخطاب: (فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم) عامة ومطلقة بالمنع عن تحديث الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك أن هذا الحديث يعيد الناس إلى سنة رسول الله (صلى

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٥٠ ص١٧٢؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٢ ص٦٠١.

(٢) سنن الدارمي، باب: من هاب الفتيا: ص٨٥.

الله عليه وآله) ومن ثم لا يتحقق لعمر بن الخطاب تثبيت سنته كفكر ومنهج بديل عن السنة النبوية وهو ما يسعى إليه في هذا المنع.

ولذا:

كان المنع أحد الوسائل التي اعتمدها ابن الخطاب في تحقيق توحيد الخلافة ولإرساء السنة العمرية في المجتمع الإسلامي، بعد أن قام بمنع التدوين في المدينة المنورة وحينما وجد أن هذا المنع لا يكفي في المدينة وذلك لانتشار حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خارج المدينة قام فقدم على أمرٍ جديد.

جيم - أمره بمحو السُنّة النبوية في جميع المدن الإسلامية.

إنّ هذا الهدف المرجو في منع الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والذي يسعى إليه خليفة المسلمين عبر مجموعة من الوسائل، في تحقيق السُنّة الجديدة وإرسائها في المجتمع الإسلامي لم يقتصر على ما مرّ ذكره من منع التدوين، ومنع تحديث الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والرواية عنه؛ بل تعداه كذلك إلى وسيلة أخرى وهي أخطر من الوسيلتين السابقتين، وهي: تعميم أمره على الأمصار الإسلامية بمحو السُنّة النبوية، كما يدل النص الآتي:

(عن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السُنّة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه)[1].

(١) تقييد العلم، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: ص٥٣.

والرواية ترشد إلى ما يلي:

١- إنها تقطع الشك بأن ابن الخطاب لم يفرق بين السنن والفرائض أو القصص الحياتية من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وسنته كما ادعى الدارمي وإنما محو جميع سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاسيما وقد استشار الصحابة في ذلك فأشاروا عليه جميعًا بتدوينها - كما مر سابقًا - مما يعني أنه اكتشف أنهم أي الصحابة على رأي واحد في حفظ سُنّة نبيهم (صلى الله عليه وآله).

ومن ثم يلزم تحقيق هدفه في إيجاد السُنّة العمرية كبديل عن السُنّة النبوية بعد هذا الإصرار والاتفاق لدى الصحابة في جمعها؛ ووجد أيضًا أن لا بديل لتحقيق هذا الهدف سوى العمل على محو السُنّة النبوية في جميع المدن الإسلامية، أي القضاء التام على هذه السُنّة سواء كانت بين يدي الصحابة في المدينة أو في غيرها من المدن التي دخلها الإسلام.

٢- إنّ البحث يفرض سؤالًا في غاية الأهمية، وهو: إن هذا الأمر الصادر من الخليفة كيف خالفه أصحاب السُنّن والصحاح وهم يعتقدون بأن مخالفة الشيخين من المهلكات، فمن جهة تمسكوا ببدعه (الحسنة) كصلاة التراويح، وتحريم زواج المتعة، وحذف كلمة (حي على خير العمل) من الأذان وغير ذلك من الأحكام والشرائع، ومن جهة أخرى خالفوا أمره فيما يلي:

أ: محو السنة النبوية.

ب: الأكتفاء بالقرآن (حسبنا كتاب الله).

ج: (أقلُّوا الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- وأنا شريككم).

إنه سؤال سنعرف إجابته يوم القيامة حينما يقف الخليفة وأصحاب الصحاح والسُنّن بين يدي الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) لاسيما وأن القرآن قد صرّح بذلك فقال عز وجل:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

دال - حبسه لصحابة النبي (صلى الله عليه وآله) بجرم إفشائهم الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لا شك أن عمر بن الخطاب كان كثير البحث عن الوسائل التي تحقق مفهوم السُنّة الجديدة في المجتمع، والمرتكز على إزالة كل ما له علاقة برسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ولأجل تحقيق هذا الأمر فقد واجه اعتراضات ومحاولات عديدة من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) المغايرة لهذا الهدف، مما تطلب أن يجد الوسائل الأخرى التي تبدو أنها لم تنتهِ عند حد؛ وذلك إن إصرار بعض الصحابة على الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جهة، ومن جهة أخرى أن الأمر لم ينحصر في اثنين أو ثلاثة من الصحابة، فَجُلُّ الصحابة كان يروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولذلك كانت وسائله في تحقيق هدفه بين كر وفر فيما بينه وبين صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مما دفعه إلى استعمال وسيلة جديدة هذه المرة بعد أن منعهم من الحديث فلم يفلح الأمر، وأمرهم بمحو السُنّة فلم ينجح الأمر، فقدم هذه المرة على حبس بعض صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين خالفوا أمر ابن الخطاب وتمردوا على طاعته، فكانوا يفشون أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بين الناس ويتذاكرون فيما بينهم.

وهو ما كشفته الرواية الآتية:

فعن محمد بن إسحاق قال: أخبرني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال:

(والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذافة، وأبا الدرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر، فقال:

ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله (صلى الله عليه -وآله- وسلم) في الآفاق؟

قالوا: أتنهانا؟!

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم، فما فارقوه حتى مات)[1].

وفي لفظ آخر، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، أنه قال:

(قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن مسعود، ولأبي الدرداء، ولأبي ذر:

ما هذا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم)؟ ولم يدعهم يخرجون من المدينة حتى مات)[2].

والأحاديث ترشد إلى أمور منها:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لأن عساكر: ج٤٠، ص ٥٠١؛ كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٠، ص٢٩٣؛ مختصر تاريخ دمشق لأبن منظور: ج٥ ص٣٠٥؛ جامع الأحاديث، السيوطي: ج١٥ ص٥١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢، ص٣٢٦؛ أنساب الأشراف للبلاذري: ج١٠، ص٢٩٧؛ لأحكام لابن حزم الأندلسي: ج٢، ص ٢٤٩؛ كنز العمال: ج١٣، ص٢٥٠.

١- إن هذه الوسيلة التي استعملها عمر بن الخطاب وهي الحجر على النخب من الصحابة وفرض الإقامة الجبرية عليهم هي من الوسائل التي تعتمدها كثير من الحكومات السابقة واللاحقة كمحاولة منها لفرض طوق على الأفكار التي تحملها هذه الطبقة الواعية، ولا شك أن هذه الوسيلة لها تأثيرها عليهم، ولكن لا يمكن فرض الإقامة الجبرية على الأفكار فكثير منها ينتقل بين الناس ويستقر عند أهل العقول.

٢- لا يخفى أن هذه النخبة من الصحابة الذين فرض عليهم عمر بن الخطاب الإقامة الجبرية ومنعهم من الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لسبب آخر لم يصرّح به الرواة وأضمره ابن الخطاب في صدره كما أضمر العلة في مرافقته للصحابة الذين بعثهم إلى الكوفة ثم سألهم:

(أتدرون لم مشيت معكم) ثم صرّح لهم عن السبب؛ وكذاك حاله في استدعاء هذه النخبة من الصحابة ومنعهم من الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن السبب هو: بيانهم لما يتعلق بأمر أحقية علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالخلافة بقرينة وجود أبي ذر الغفاري (عليه الرحمة والرضوان) الذي عرف بتمسكه ومناصرته لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ومواجهة الخلفاء الثلاثة وتصديه لوسائلهم العديدة بمنع الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعريف الناس بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وسُنّته.

٣- كما تكشف الرواية عن وجود عيون لعمر بن الخطاب ترقب الصحابة وما يفعلون، ولذا قال لهم لما أحضرهم: (ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] في الآفاق).

هاء- حرقه كتب الحديث النبوي والسنن والتفسير التي عند صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

إنّ مما تكشفه الروايات -وأن كانت مريرة على أهل السنة والجماعة- أن عمر بن الخطاب كان في كرّ وفرّ مع صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تطبيق منهاجه الجديد المقتضي إزالة سُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) واستحداث سُنّته بدلًا عنها تحت ذريعة الحفاظ على القرآن.

والذي بدئه ابن الخطاب في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل والمجاهرة بهذا المنهج كما يحدثنا البخاري ومسلم في صحيحيهما وتحديدا في رزية يوم الخميس التي جاهر فيها ابن الخطاب بخلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) **(متعمدا لخلافه)**، بل والجرأة على الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) واتهامه له بالهجر -والعياذ بالله- بل الأدهى من ذلك تبرير أعلام أهل السُنّة والجماعة فعل عمر وتأويله بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان وكأنهم أفهم من الصحابي عبد الله بن عباس الذي أبكاه قول عمر حتى بل دمعه الحصى وهو يحدث عن مصيبة أو رزية يوم الخميس.

إلا أن هذه المحاولات لأثبات منهجه الجديد والإجراءات التي أتخذها كانت تواجه بمحاولات معاكسة من الصحابة، فحينما أمرهم بترك الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) واجهها الصحابة بالكتابة سرًا حتى كثرت هذه الكتب بين أيدي الصحابة حينها وجد ابن الخطاب أن إبقاء هذه الكتب مع منعه الصحابة من الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أمره بمحوها لا يجدي نفعًا مع بقاء هذه الكتب.

وكذلك: وجد أن الوسيلة الأنجح في تحقيق هدفه المقتضي إعدام السُنّة النبوية وإحياء السُنّة العمريّة هو حرق الكتب التي دون فيها الصحابة أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ما كشفته الروايتان الآتيتان:

١- لما بلغه -أي عمر بن الخطاب- أنه قد ظهرت في أيدي الصحابة كتب استنكرها وكرهها وقال:

(أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتابًا إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي. فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار، ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب)[1].

٢- عن ابن سعد قال: أخبرنا زيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي، قال: أخبرنا عبد الله بن العلاء، قال: سألت القاسم يملي عليّ أحاديث فقال: إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب)[2].

والروايتان ترشدان إلى أمور، منها:

١- التأكيد على أن عمر بن الخطاب كان لديه عيون على الصحابة يأتون إليه بأخبارهم وماذا يتحدثون ويفعلون، ولذا قال لهم: (إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب).

٢- إن الصحابة لو علموا بأن عمر بن الخطاب كان سيقدم على حرق

(١) تقيد العلم للخطيب البغدادي: ص٥٢.

(٢) الطبقات لابن سعد: ج٥، ص ١٨٨؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج٧، ص ٣٢١؛ سير أعلام النبلاء: ج٥، ص٦٠.

كتبهم لما أتوه بها، وإن عمر كان يدرك ذلك، ولذا: لم يخبرهم بنيته المبيتة، فاستعاض عنها بقوله: (فأرى فيه رأيي) أي في هذه الكتب فكان رأيه الذي أظهره فعله هو الحرق لهذه الكتب.

٣- أما قوله: (أمنية كأمنية أهل الكتاب) فهو تعريض وانتقاص من شأن الصحابة الذين نالوا منزلة في الفكر الإسلامي غير التي وضعهم فيها عمر بن الخطاب.

٤- من أين أطلع عمر بن الخطاب على قلوب جميع الصحابة فعرف أن أمانيهم كأمانيّ أهل الكتاب؟!

ولذلك: كان المراد مع كيل الاتهامات للصحابة هو إزالة الفكر الذي أرتكز في أذهان الصحابة بتقديس سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيرته وهديه.

والدليل:

١- إنّ عمر بن الخطاب لم يثبت على عذر فقد أتهم الصحابة بالانقلاب على الإسلام وأتباع اليهود والنصارى في تحريف دينهم وأن هذه الأماني لا تتحقق.

٢- ادّعائه عبر هذه الوسائل وتطبيقها الحفاظ على القرآن، إلا أن هذه الادعاءات سرعان ما تكشفت للصحابة وللمسلمين، وذلك أنه منعهم من قراءة القرآن وبيانه.

ومن ثم: يبقى الأمر الجلي هو إزالة السُنّة النبوية من الذاكرة الإسلامية؛ وهو ما دلت عليه الرواية الآتية في منع عمر الصحابة من بيانهم لآيات القرآن عند قراءته، وبها يتضح أن القصد لم يكن (حسبنا كتاب الله).

واو - منعه الصحابة من قراءة القرآن حينما يترافق مع بيان أحكامه؟!

روى ابن شبة النمري (المتوفى سنة ٢٦٢ هـ)، عن السائب بن يزيد ابن أخت النمر:

(إنّ عمر بن الخطاب قال: ألا، لا أعلمن ما قال أحدكم: إن عمر بن الخطاب منعنا أن نقرأ كتاب الله، إني ليس لذلك أمنعكم، ولكن أحدكم يقوم لكتاب الله والناس يستمعون إليه، ثم يأتي بالحديث من قبل نفسه، إن حديثكم شر الحديث، وإن كلامكم هو شر الكلام، من قام منكم فليقم بكتاب الله، وإلا فليجلس، فإنكم قد حدثتم الناس حتى قيل: قال: فلان وقال فلان وترك كتاب الله)[1].

والحديث يكشف عن أمور؛ منها:

١- لا شك أن عمر يدرك الحالة التي عليها الصحابة في نفرتهم لهذا القرار الذي سيصدره بحقهم، وذلك لالتصاقه بالقرآن الكريم؛ بل كان يدرك أن هذا الفعل ليس له تفسير آخر، أي: إن المقصود في منعهم من بيان مسائل القرآن وتفسيره هو القرآن نفسه.

إذ ما فائدة القراءة من دون تدبر في الكتاب وما جاء فيه من لطائف وأحكام وعلوم، فضلًا عن أنهم لم يكونوا متأولين في القرآن، إذ لو كانوا من المتأولين فيه لأناهم ابن الخطاب العقاب الشديد وذلك أنه سيستند إلى القرآن نفسه في منعه الناس من التأويل.

(١) تاريخ المدينة لابن شبة النمري: ج٣، ص ٨٠٠.

وعليه:

كان ابن الخطاب يدرك كما كان الصحابة يدركون أن المستهدف هو القرآن نفسه، بمعنى: يصبح هذا الكتاب الذي فيه دستور المسلمين ومنهل شريعتهم صامتًا غير ناطق لا يدرك معانيه القارئون ولا السامعون.

٢- إن كثيرًا من الصحابة حينما كان يقرأ القرآن وما جاء فيه من السُنّة في بيان مقاصد الآيات في كشفها لحال الأمة والصحابة وأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) ومنزلة آل البيت (عليهم السلام) وحقهم وشأنهم كان يحدث الناس بما سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أسباب النزول ومقاصد الآيات المباركة وهذا ما لا يرغب فيه عمر بن الخطاب.

ومثال ذلك فيما نزل من الذكر الحكيم في سورة التحريم في بيان حال عائشة وحفصة واتفاقهما على إيذاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتهديد الوحي لهما وتحذيره إياهما إن لم تتوبا إليه تعالى، حيث تكشف الرواية التي أخرجها البخاري، وأحمد بن حنبل، ومسلم النيسابوري، وغيرهم، عن الأسباب والدوافع التي أقدم عليها عمر بن الخطاب بمنع الصحابة عن بيان القرآن، وذلك لما فيه من كشف للحقائق لا سيما وأن ذلك يتقاطع مع منهاجه في تقريب عائشة وتفضيلها على نساء النبي (صلى الله عليه وآله)، لكونها أحد العناصر في مشروع سنة الشيخين ولذا كثرت عنها الرواية، وفسح لها المجال في الفتيا. في حين شدد عمر على الصحابة.

ولذا: نجد عبد الله بن عباس يتحين الفرص لمعرفة الحقائق فيستلها استلالًا من فم ابن خطاب، وهو ما صرّحت به رواية البخاري في صحيحه، نوردها بتمامها، قائلاً، أي ابن عباس:

(لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، اللتين قال الله لهما: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فحججت معه، فعدل وعدلت معه بالإداوة، فتبرز حتى جاء، فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، اللتان قال لهما: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾؟! فقال: وا عجبي لك يا ابن عباس!! عائشة وحفصة.

ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، فقال:

إني كنت وجار لي من الأنصار في بنى أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فينزل هو يوما، وأنزل يوما، فإذ نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر[1] وغيره، وإذا نزل فعل مثله، وكنا معشر قريش نغلب النساء[2]، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحت على امرأتي فراجعتني[3]، فأنكرت أن تراجعني؛ فقالت:

ولم تنكر أن أراجعك، فوالله أن أزواج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ليراجعنه! وأن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل!!

فأفزعني!! فقلت: خابت من فعل منهن بعظيم؛ ثم جمعت على ثيابي فدخلت على حفصة فقلت: أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، اليوم حتى الليل؟!

(١) أي الوحي.

(٢) نغلب النساء أي: في الخلافات التي تحدث بين المرأة وزوجها.

(٣) أي: ردت عليه كلامه وأرجعته عليه في خلافه معها وما ما يعرف بالملاسنة.

فقالت: نعم.

فقلت: خابت وخسرت، أفتأمن أنْ يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فتهلكين؟!! لا تستكثري على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرّنك أنْ كانت جارتك هي أوضأ منك، وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، -يريد عائشة-.

وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء، فضرب بابي ضربا شديدا، وقال:

أنائم هو؟! ففزعت!! فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم!! قلت: ما هو، أجاءت غسان؟! قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم نساءه !! قال [قلت]:

قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت على ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فدخل مشربة له فاعتزل فيها، فدخلت على حفصة، فإذا هي تبكي، قلت:

ما يبكيك، أو لم أكن حذرتك، أطلقكن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم؟! قالت: لا أدري، هو ذا في المشربة؛ فخرجت فجئت المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلا ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي هو فيها.

فقلت لغلام له أسود: أستأذن لعمر، فدخل فكلم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ثم خرج، فقال: ذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست

مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فذكر مثله، فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام، فقلت: استأذن لعمر فذكر مثله، فلما وليت منصرفا، فإذ الغلام يدعوني، قال: أذن لك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فدخلت عليه، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من آدم، حشوها ليف، فسلمت عليه، ثم قلت: وأنا قائم!! طلقت نساءك؟!

فرفع بصره إلي فقال: **لا** .

ثم قلت: وانا قائم، أستأنس يا رسول الله، لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فذكره، فتبسم النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة، فقلت: لا يغرنك ان كانت جارتك هي أوضأ منك، وأحب إلى النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم، - يريد عائشة- فتبسم أخرى، فجلست حين رأيته تبسم، ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة!! فقلت: أدع الله فليوسع على أمتك، فأن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئا، فقال:

أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟!! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا.

فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فأعتزل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة، وكان قد قال:

«ما أنا بداخل عليهن شهرا».

من شدة موجدته عليهن، حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة، فبدأ بها، فقالت له عائشة: أنك أقسمت ألّا تدخل علينا شهرا وأنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدا؟! فقال النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم):

«**الشهر تسع وعشرون**».

وكان ذلك الشهر تسع وعشرون، قالت عائشة: فأنزلت آية التخيير[1] فبدأ بي أول امرأة فقال:

«**إني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك؟**»

قالت: قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، ثم قال:

«**إن الله قال:** ﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك**﴾ **إلى قوله** ﴿**عظيما**﴾؟»

قلت: أفي هذا استأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة)[2].

والرواية تكشف عن جملة من الأمور التي ارتبطت بحياة النبي (صلى الله عليه وآله) التي تناولها الوحي ببعض الآيات الكريمة فأراد عمر بن الخطاب منع الصحابة من بيانها عند قراءتهم للقرآن، وهي على النحو الآتي:

١- إن عبد الله بن عباس أنتظر سنة كاملة يتربص الفرصة كي يستل

(١) وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم: ج٣ص١٠٣

معرفة سبب نزول سورة التحريم والمرأتان اللتان هددهما الله بالعذاب لتضافرهما على أذى رسوله (صلى الله عليه وآله).

٢- إن تعجب عمر بن الخطاب من سؤال ابن عباس سببه ما كان يلاحظه من حرص ابن عباس على معرفة حقائق الوحي إذ تكشف الصيغة (وا عجباه) عن تكرار الأسئلة منه لعمر وهو أمر تضافرت به النصوص الحديثية والتاريخية.

٣- أن ما دار بين عمر وامرأته يكشف عن حقيقة مؤلمة فقولها له:

«ولم تنكر أن أراجعك، فوالله أن أزواج النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، ليراجعنه! وأن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل!»

فيه أطلاق لعامة نساء النبي (صلى الله عليه وآله) في سوء معاملتهن للنبي (صلى الله عليه وآله) وإيذائه -والعياذ بالله-، وأن هذه المعاملة السيئة التي وجدها عمر بن الخطاب من زوجته لم يكن سببها نساء المدينة كما أدعى، وإنما هي سوء معاملة نساء النبي (صلى الله عليه وآله) وانتشارها بين معشر النساء ولذا احتجت امرأة عمر بها عليه ولم تحتج بأن هذا حال نساء الأنصار.

٤- إنّ مما يؤكد أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يلقى سوء المعاملة من نسائه في مجادلتهن له ومراجعة الكلام معه وهجرانه، هو إقرار حفصة بنت عمر بن الخطاب وتأكيدها لسريان هذه المعاملة عند جميع نساء النبي (صلى الله عليه وآله)، فلاحظ قوله وحواره مع ابنته حفصة:

(أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، اليوم حتى الليل؟!

فقالت: نعم!! فقلت:

خابت وخسرت، أفتأمن أنْ يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فتهلكين؟!! لا تستكثري على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه).

وقوله لها: (أفتأمنَّ أنْ يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه [وآله]، فتهلكين)؟!! أن الأمر لم يكن عن جهالة فيما يفعلنَّ بل عن تعمد في ذلك ومعرفة بعاقبة هذه الأعمال التي تستوجب غضب الله ورسوله (صلى الله الله عليه وآله)، لا سيما عائشة وحفصة التي نزلت فيهما سورة التحريم فضلا عن عموم النساء اللاتي نزلت فيهن آية التخيير، ولأن عائشة كانت هي الأساس في هذه المعاملة بدأ بتخييرها بين الرضا بعيش النبي (صلى الله عليه وآله) وزهده وما تفرضه النبوة من شؤون وتكاليف، وبين الطلاق وفراقه (صلى الله عليه وآله).

٥- يكشف السؤال الذي وجهه ابن الخطاب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن رأى بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وخلوه من وسائل المعيشة عن رؤيته الى النبوة ومساواتها بحال القياصرة والأكاسرة ولم تزل تلك الرؤية لدية حتى بعد نهي النبي (صلى الله عليه وآله) ونهره له بقوله:

«أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟!! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»؟!!

فقد تجلت بمصاديقها لما تولى الحكومة الإسلامية وجلس في مجلس الخلافة، فكان يسأل من بعض الصحابة كطلحة والزبير وسلمان وكعب الأحبار: أخليفة هو أم ملك؟ فلاحظ سؤاله الذي رواه ابن سعد (المتوفى

٢٣٠هـ) والبلاذري (المتوفى٢٧٩هـ)، ونعيم بن حماد المروزي (المتوفى ٢٨٨هـ) وغيرهم، عن أبي العوجاء أنه قال: قال عمر بن الخطاب:

(والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك، فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم؟!!

قال قائل: يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا.

قال: ما هو؟!

قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، فأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر)[1].

ولذا: كان من المهم لديه التوسع باتجاه الشرق لجلب كنوز فارس وجواريها وغلمانها إلى الخلافة مما شكل وجودهم عاملا أساسا في تغير التركيبة الثقافية والاجتماعية للمسلمين تجلت مظاهرها على أرض كربلاء يوم عاشوراء عبر آلية التثاقف وإثارة الفكرية والعقدية[2].

فكان ضمن منهاجه لفرض سنته البديلة بإزاء سنة رسوله الله (صلى الله عليه وآله) وترسيخها في المجتمع الإسلامي ليربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير فتصبح أمرا واقعاً فاذا أراد أحد من المسلمين الاعتراض أو البيان بانها بدع ومحدثات حاربوه أشياع سُنّة الشيخين، «**فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ**».

(١) الطبقات الكبرى: ج٣ ص ٣٠٧؛ أنساب الأشراف: ج١٠ ص٣٦٠؛ الفتن: نعيم بن حماد المروزي: ص٥٦؛ تاريخ الخلفاء، السيوطي: ص١١٢

(٢) لمزيد من الاطلاع، ينظر الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية لمجتمع الكوفة، السيد نبيل الحسني، إصدار العتبة الحسينية المقدسة، طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت.

ياء - معاقبته مَن يسأل عن أمور دينه أشد العقوبة ونفيه من بلده!!

إنّ خوف الصحابة من التعرض للتعذيب وغيرهم من المسلمين كما حدث مع عبد الله ضبيع الذي قدم من البصرة جنوب العراق إلى المدينة في خلافة ابن الخطاب ومباشرة عمر بتعذيبه لجريمة سؤاله عن الآيات المتشابهة في القرآن ليكفي في جعل الصحابة شديدي الحذر من نشر العلم وبيان مقاصد الشريعة سواء ما تعلق بالقرآن أو السنة النبوية.

وهو ما كشفته النصوص الآتية:

١ - عن عطاء بن السائب قال: (سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذا سئل أحدهم عن المسألة أحب أن يكفيه غيره)[١].

٢- وذكر الدارمي عن داود، أنه قال: (سألت الشعبي كيف كنتم تصنعون إذا سئلتم؟ قال: على الخبير وقعت كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه أَفْتِهِمْ فلا يزال حتى يرجع إلى الأول)[٢].

فهذا هو حال الصحابة والتابعين في تعليم الناس وإرشادهم إلى أمور دينهم؛ أما من يقدم للمدينة من المسلمين لكي يتعلم ويسأل عن أمور دينهم فإن حاله يرثى لها، بل إنه ليحرم على نفسه ألا يعود إلى المدينة حتى يلقى ملك الموت!!

---

(١) سنن الدارمي: ج١، ص ٥٣؛ الطبقات لابن سعد: ج٦، ص١١٠.

(٢) سنن الدارمي: ج١، ص٥٣؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٥، ص٣٦٦.

فأخرج الدارمي في سننه عن سليمان بن يسار: (أن رجلا قدم المدينة يقال له ضبيع -وهو من أهل البصرة- فجعل يسأل عن تشابه القرآن، فأرسل إليه عمر -بن الخطاب- فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟

قال: أنا عبد الله، ضبيع. قال: وأنا عبد الله، عمر.

فضربه حتى دمى رأسه، فقال - ضبيع-: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، ثم نفاه إلى البصرة)[1].

وعن سعيد بن المسيب: (فأمر به عمر فضرب مائة سوط، فلما برئ دعاه فضربه مائة أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى: حرّم على الناس مجالسته)[2].

وذكر السائب بن يزيد: (وكتب -عمر- إلى أبي موسى، يأمره أن يحرم على الناس مجالسته، وإن يقوم في الناس خطيبا، ثم يقول: إن ضبيعًا قد ابتغى العلم فأخطأه.

فلم يزل - الرجل - وضيعا في قومه حتى هلك)[3].

وعليه:

فقد ترك هذا الفعل الذي قام به عمر بن الخطاب مع عبد الله ضبيع آثاره النفسية والاجتماعية ليس فقط في المدينة المنورة وإنما سرى ذلك إلى

(١) سنن الدارمي: ج١، ص٥٤، نصب الراية للزيلعي: ج٣، ص١١٨. الدراية لابن حجر: ج٢، ص٩٨. الدر المنثور للسيوطي: ج٢، ص٧. فتح القدير للشوكاني: ج١، ص٣١٩ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٢٣، ص٤١١.

(٢) الإصابة لابن حجر: ج ٣، ص ٣٧١.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ج٢، ص ٣٣٤. الغدير للأميني: ج٦، ص ٢٩٢.

المدن الأخرى مما منع تداول الحديث أو العلم والسعي في طلبه؛ ومن ثم كانت هذه الوسيلة لها خصوصيتها الردعية على المجتمع الإسلامي.

ولقد أشاد كثير من الباحثين في الوقت الراهن بهذه الوسيلة التي استعملها عمر بن الخطاب في ردع من يسأل عن القرآن ومعرفة آياته وأحكامه كالمتشابه أو المحكم وغير ذلك مما يدخل تحت عنوان طلبة العلوم الشرعية، بل ودعوا إلى اعتماد هذه الوسيلة مع طالب العلم ومعرفة الشريعة؛ لأنهم يرون أن سنته هي الأنسب للمجتمع كما سيمر؛ مما يجر إلى حالة القطع في أن الدافع في هذه الوسائل التي استعملها عمر بن الخطاب هي إيجاد سُنة وشريعة جديدتين في المجتمع الذي لم يبق فيه سوى المسميات فإن كان الصحابة يلتجئون إلى الحديث النبوي منعوا بحجة الاكتفاء بالقرآن وحده؛ وإن جاؤوا إلى القرآن وما فيه منعوا بحجة إقرانه بآرائهم وفهمهم لآياته وبيانهم لمقاصده؛ وهم كما عرف القارئ الكريم حملة العلم وخير أهل القرون وغير ذلك مما ورد في حقهم.

ومن ثم: كيف لا تكون هذه الفتنة التي:

«يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ».

هي أحد أعظم الأصول التي أسست للرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله)؟!

المسألة الثانية: كاشفية خطابه (عليه السلام) عن التشبث ببدعة صلاة التراويح في مسجد الكوفة واتخاذها سنة وعلة امتناعه عن منع المسلمين من أقامتها.

إنّ أول ما واجهَ الإمام علي (عليه السلام) حين نقل عاصمة الخلافة إلى الكوفة من الأنساق الثقافية لسنة الشيخين هو بدعة صلاة التراويح التي

أظهر الناس عبرها عمق تغلغل هذا النسق الثقافي والديني في أذهان الناس وانتشاره في البلاد الإسلامية على الرغم من صريح قول عمر بن الخطاب بأنها: (بدعة).

فقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري، أنه قال:

(خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط.

فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم؛ قال عمر:

نِعْمَ البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون -يريد آخر الليل-، وكان الناس يقومون أوله)[1].

وبقي الناس على هذا النسق في ليالي شهر رمضان في مختلف المدن الإسلامية لم يجرؤ أحد على التصدي لهذه البدعة حتى عام (٣٧ للهجرة) حين جاء الإمام علي (عليه السلام) إلى الكوفة وقد حل شهر رمضان فقام الناس في أول لياليه بصلاة التراويح كعادتهم في التمسك بهذا النسق العبادي، فعزم الإمام علي (عليه السلام) على تغير هذه البدعة فبعث إليهم ولده الإمام الحسن (عليه السلام) لكي ينهاهم عن هذه البدعة؛ فما كان جوابهم؟

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

(١) صحيح البخاري، كتاب التراويح: ج٢ ص ٢٥٢، كتاب التراويح.

«لما قدم أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة أمر الحسن بن علي أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة، فنادى الحسن بن علي بما أمره به أمير المؤمنين.

فلما سمع الناس مقالة الحسن (عليه السلام) صاحوا: وا عمراه! فلما رجع الحسن إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال له:

ما هذا الصوت؟

قال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون: وا عمراه وا عمراه.

فقال أمير المؤمنين: قل لهم صلّوا»[1].

وهذه الحادثة يتجلى فيها أثر المنهج الذي أعتمده الشيخان في مخالفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدين لخلافة مغيرين لسنته في نفوس المسلمين وفيهم الصحابة وأبنائهم والتابعين لهم، ومثاقفتها لسنة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) التي تجلى فيها منعه (صلى الله عليه وآله) لصلاة الجماعة في النوافل الرمضانية وذلك لما يلي:

١ـ إن الدافع الذي دفع عمر بن الخطاب لجمعهم في صلاة واحدة هو أنه رآهم يصلون فرادى متفرقون كما نص عليه قوله لعبد الرحمن بن عبد القارئ الذي خرج مع عمر بن الخطاب إلى المسجد.

٢ـ صريح قول عمر بن الخطاب: (نعم البدعة هذه) فلو كانت هذه الكيفية من الصلاة، أي الجماعة في النوافل لما قال إنها بدعة، وكل بدعة محدثة

(١) التهذيب للطوسي: ج٣ ص ٧٠ حديث ٢٢٧.

وهي في النار، أي بمعنى: إنها لم تكن من سنة النبي (صلى الله عليه وآله) ولو كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد جمعهم على صلاة واحدة لما كان عمر ليبتدع هذه الصلاة ويحدثها في الإسلام.

ولكن مع هذا التصريح، ومع هذا العلم عند الصحابة بأنها مخالفة لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنّها أمر محدث مبتدع لكنهم يتشبثون به؛ فكان هذا الحدث صورة واضحة لبيان أثر الفتنة التي يربوا عليها الصغير ويهرم عليها الكبير في المجتمع الإسلامي.

٣ـ إننا نجد أن بعض شراح صحيح البخاري ليجاهرون أيضًا ببدعة عمر لهذه الصلاة، وفي ذلك يقول الحافظ العيني:

(وإنما دعاها بدعة، لأن رسول الله -(صلى الله عليه وآله)- لم يسنها لهم، ولا كانت في زمن أبي بكر، ولا رغَّب رسول الله -(صلى الله عليه وآله)- فيها)[١].

وقال الحافظ القسطلاني:

(سماها (عمر): بدعة، لأنه (صلى الله عليه وآله) لم يسنَّ لهم الاجتماع لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، ولا أول الليل، ولا كل ليلة، ولا هذا العدد)[٢].

٤ـ وقد ناقش هذ الفعل ومقتضيات شرعيته من بدعيته العلامة ابن المطهر الحلي (عليه الرحمة والرضوان) وغيره من فقهاء المذهب الإمامي[٣] (أعلى الله

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للعيني: ج٦ ص١٢٦.
(٢) ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري للقسطلاني: ج٣ ص ٤٢٦.
(٣) ذكرى الشيعة للشهيد الأول: ج٤ص ٢٨١؛ روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان للشهيد الثاني: ج٢ ص٩٦٥؛ مستند الشيعة للمحقق النراقي: ج ٨ ص١٧؛ جواهر الكلام للجواهري: ج ١٣ ص١٤١.

شأنهم) فيقول في ذلك: (قال علماؤنا: الجماعة في نافلة رمضان بدعة. وقال مالك[١]، والشّافعيّ: الأفضل فيها الانفراد[٢]. وقال أبو حنيفة[٣]، وأحمد: الأفضل الاجتماع[٤]؛ ولنا -في الاستدلال على بدعتها-: ما رواه الجمهور عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلم) حجيرة[٥] بخصفة أو حصير، فخرج إليهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يصلّي فيها، قال:

فتبع إليه رجال وجاءوا يصلّون بصلاته، ثمَّ جاءوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) عنهم، فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب!! فخرج إليهم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) مغضبا، فقال لهم: (ما زال بكم صنيعكم حتّى ظننت أنّه سيكتب عليكم، فعليكم بالصّلاة في بيوتكم، فإنّ خير صلاة المرء في بيته، إلَّا المكتوبة)[٦].

وما رووه عن عليّ (عليه السّلام) أنّه لم يجمع فيها[٧]، ولو كانت الجماعة مشروعة لسارع إليها، ولما زهد النبيّ (صلَّى الله عليه وآله) فيها.

ومن طريق الخاصّة: رواية الفضل البقباق، وعبيد بن زرارة، وقد تقدّمت.

---

(١) المغني ١: ٨٣٥، المجموع ٤: ٣٥، فتح العزيز بهامش المجموع ٤: ٢٢٦، نيل الأوطار ٣: ٦٠.
(٢) الأمّ، الشافعي (مختصر المزنّي) ٨: ٢١، المجموع ٤: ٥، المغني ١: ٨٣٥، نيل الأوطار ٣: ٦٠.
(٣) الهداية للمرغينانّي ١: ٧٠، المغني ١: ٨٣٥، بدائع الصنائع ١: ٢٨٨، شرح فتح القدير ١: ٤٠٧
(٤) المغني ١: ٨٣٥، الكافي لابن قدامة ١: ١٩٨، الإنصاف ٢: ١٨١، نيل الأوطار ٣: ٦٠.
(٥) حجرة، وقيل: حجيرة.
(٦) صحيح مسلم ١: ٥٣٩ الحديث ٧٨١، وبتفاوت ينظر: صحيح البخاريّ ١: ١٨٦، سنن أبي داود ٢: ٦٩ الحديث ١٤٤٧، سنن النسائيّ ٣: ١٩٨، مسند أحمد ٥: ١٨٧.
(٧) المغني ١: ٨٣٦.

رواية زرارة، ومحمّد بن مسلم، والفضيل عنهما (عليهما السّلام)[1].

احتجّ المخالف بما رووه عن عليّ (عليه السّلام)، وجابر، وعبد الله أنّهم كانوا يصلُّونها جماعة[2].

وبما رووه عن عمر أنّه خرج ليلة في رمضان فإذا الناس أوزاع متفرّقون يصلّي الرجل لنفسه ويصلّي الرجل فيصلّي بصلاته الرهط، فقال عمر: إنّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثمَّ عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب قال: ثمَّ خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلُّون بصلاة قارئهم، فقال: نعمت البدعة هذه[3].

والجواب: أمّا فعل عليّ (عليه السّلام) فقد ثبت بالنقل عن أبنائه (عليهم السّلام) أنّه وقع منفردا، وهم أعرف بصنيع أبيهم ومعالم الشريعة.

وأمّا حديث عمر فلا احتجاج به، إذ قد ثبت أنّ الرّسول (صلَّى الله عليه وآله) لم يجمع، وفعله هو الحجّة لا فعل غيره.

وأيضًا، فإن عمر قد أعترف بأنها بدعة في قوله: نعمت البدعة، ولو كان الاجتماع مشروعًا عنده لما كان بدعة)[4].

٥ ـ أما لماذا أمضاها الإمام (عليه السلام) ولم يقف بوجهها وهو الخليفة وله السلطة عليهم؟ فجوابه فيما يلي:

(١) التهذيب ٣: ٦٩ الحديث ٢٢٦، الاستبصار ١: ٤٦٧ الحديث ١٨٠٧، الوسائل ٥: ١٩١ الباب ١٠ من أبواب نافلة شهر رمضان الحديث ١.
(٢) المغني ١: ٨٣٥، الشرح الكبير بهامش المغني ١: ٧٨٥.
(٣) صحيح البخاريّ ٣: ٥٨، سنن البيهقيّ ٢: ٤٩٣، المغني ١: ٨٣٤.
(٤) منتهى المطلب للعلامة الحلي: ج٦ ص ١٤٣.

يكشف الإمام علي (عليه السلام) فيما بعد عن سبب تركهم يصلون هذه الصلاة أي التراويح في شهر رمضان سواء كان ذلك في مسجد الكوفة أو في مساجد المدن الأخرى، فيقول متألمًا وشاكيًا ومظهرًا لآثار هذه الأنساق لسُنّة الشيخين أو أحدهما في المجتمع الإسلامي التي تظهر أن تغلغلها في نفوس المسلمين وأذهانهم سيؤدي في النهاية إلى اغتيال التوحيد على أرض كربلاء فيما لو لم يلتفت هؤلاء الناس إلى هذه التحذيرات والشكوى والبيان وإظهار الحجة تلو الأخرى عليهم، ولكن آن لهم بالانتباه من هذه الغفلة التي أحاطت بعقولهم وقد شربت قلوبهم أنساق سنة الشيخين.

وعليه:

نجده (عليه الصلاة والسلام) يخاطبهم متألمًا ومحتجًّا ومظهرًا للحقائق فيقول: (وقد أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته، فقال:

«قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول اللهّ (صلى اللهّ عليه وآله) متعمدين لخلافه، ناقضين لعهده مغيرين لسنته ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول اللهّ (صلى اللهّ عليه وآله) لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب اللهّ عز وجل وسنة رسول اللهّ (صلى اللهّ عليه وآله)، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم (عليه السلام)[1] فرددته إلى الموضع الذي

(١) إشارة إلى ما فعله عمر من تغيير المقام عن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى موضع كان فيه في الجاهلية رواه الخاصة والعامة. راجع كتاب النص والاجتهاد للعلامة الجليل سماحة السيد شرف الدين العاملي -مد ظله-.

وضعه فيه رسول اللهّ (صلى اللهّ عليه وآله)، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة (عليها السلام)[1] و رددت صاع رسول اللهّ (صلى اللهّ عليه وآله) كما كان[2]، وأمضيت قطائع أقطعها رسول اللهّ (صلى اللهّ عليه وآله) لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ[3]، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد[4] ورددت قضايا من الجور قضي بها[5]، ونزعت نساءً تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن[6] واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأرحام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا وأعطيت كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله)[7] يعطي بالسوية ولم أجعلها دولة بين

(١) قصة فدك مشهورة لا تحتاج إلى البيان.

(٢) الصاع في النهاية هو مكيال يسع أربعة أمداد والمد عند الشافعي وفقهاء الحجاز رطل وثلث بالعراقي وعند أبي حنيفة المد رطلان وبه أخذ فقهاء العراق فيكون الصاع خمسة أرطال وثلثا أو ثمانية أرطال وعند الشيعة على ما في كتاب الخلاف في حديث زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان رسول (صلى الله عليه -وآله- وسلم) يتوضأ بمد ويغتسل بصاع والمد رطل ونصف والصاع ستة أرطال يعني رطل المدينة ا هـ. وهو تسعة بالعراقي.

(٣) القطيعة: طائفة من أرض الخراج «أقطعها» أي عيَّنها وعزلها.

(٤) كأنهم غصبوها وأدخلوها في المسجد.

(٥) ذلك كقضاء عمر بالعول والتعصيب في الإرث وكقضائه بقطع السارق من معصم الكف ومفصل ساق الرجل خلافا لما أمر به النبي (صلى الله عليه وآله) من ترك الكف والعقب وانفاذه في الطلاق الثلاث المرسلة ومنعه من بيع أمهات الأولاد وإن مات الولد وقال: هذا رأى رأيته فأمضاه على الناس إلى غير ذلك من قضاياه وقضايا الآخرين.

(٦) كمن طلقت بغير شهود وعلى غير طهر كما أبدعوه ونفذوه وغير ذلك.

(٧) إشارة بما ابتدع الثلاثة في حكومتهم من الخراجات وغيرها مما لم يكن في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الأغنياء وألقيت المساحة، وسويت بين المناكح[1] وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل وفرضه[2] ورددت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ما كان عليه [3]، وسددت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ[4] وأمرت بإحلال المتعتين[5] وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات[6] وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[7] وأخرجت من أدخل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في

(١) بأن يزوج الشريف والوضيع كما فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزوج بنت عمه مقداداً. أو إشارة إلى ما ابتدعه عمر من منعه غير قريش أن يتزوج في قريش ومنعه العجم من التزويج في العرب.

(٢) إشارة إلى منع عمر أهل البيت خمسهم كما يأتي بيانه في آخر هذه الخطبة.

(٣) يعني أخرجت منه ما زادوه فيه. «وسددت ما فتح فيه من الأبواب» إشارة إلى ما نزل به جبرئيل (عليه السلام) من الله سبحانه من أمره النبي (صلى الله عليه وآله) بسد الأبواب من مسجده إلا باب علي وكأنهم قد عكسوا الأمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

(٤) إشارة إلى ما ابتدعه عمر من إجازته المسح على الخفين في الوضوء ثلاثا للمسافر ويوما وليلة للمقيم وقد روت عائشة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره». «وحددت على النبيذ» وذلك أنهم استحلوه.

(٥) يعني متعة النساء ومتعة الحج، قال عمر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحج».

(٦) وذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يكبر على الجنائز خمسا، لكن الخليفة الثاني راقه أن يكون التكبير في الصلاة عليها أربعا فجمع الناس على الأربع، نص على ذلك جماعة من أعلام الأمة كالسيوطي (نقلا عن العسكري) حيث ذكر أوليات عمر من كتابه (تاريخ الخلفاء) وابن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر سنة ٢٣ من كتابه (روضة الناظر) المطبوع في هامش تاريخ ابن الأثير وغيرهما من أثبات المتتبعين. (نقل عن كتاب النص والاجتهاد ص ١٥٢).

(٧) وذلك انهم يتخافتون بها أو يسقطونها في الصلاة.

مسجده ممن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخرجه، وأدخلت من اخرج بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أدخله[1] وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة[2]، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها[3]، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم[4]، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) إذا لتفرقوا عني والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيرت سنة عمر ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري.

(١) لعل المراد إخراجها حيث دفنا والمراد بإخراج الرسول إياهما سد بابهما عن المسجد.
«وأدخلت من اخرج» لعل المراد به نفسه وفاطمة (عليه السلام) وبإخراجه سد بابه وبإدخاله فتحه.

(٢) وذلك انهم خالفوا القرآن في كثير من الأحكام منها وجوب الاشهاد على الطلاق وعدم وجوبه على النكاح فإنهم عكسوا الأمر في ذلك وأبطلوا عدة من أحكام الطلاق وأبدعوا فيه بآرائهم.

(٣) أي اخذتها من أجناسها التسعة وهي الدنانير والدراهم والحنطة والشعير والتمر والزبيب والإبل والغنم والبقر فإنهم أوجبوها في غير ذلك وتفصيل الكلام توجد في كتب القوم. وقوله (عليه السلام): «وحدودها» أي نصابها.

(٤) نجران -بالفتح ثم السكون وآخره نون- وهو في مواضع عدة: منها نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة وبها كان خبر الأخدود واليها تنسب كعبة نجران وكانت لربيعة بها أساقفة مقيمون منهم السيد والعاقب اللذين جاءا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) في أصحابهما ودعاهم إلى المباهلة وبقوا بها حتى أجلاهم عمر ونجران أيضا موضع على يومين من الكوفة - إلى آخر ما قاله الحموي في مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٣٥٩ - وفي كيفية إجلاء عمر إياهم وسببه. راجع فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٠ إلى ص ٧٥.

ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة، وطاعة أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار...» ؟![1]

وعليه:

فإنّ من أهم الأمور التي أدت إلى نشر الجاهلية والفكر المنحرف هو تجاهل الجهد الكبير الذي قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في إنقاذ العرب خاصة وقد بعث فيهم وهم على تلك الأخلاق والتردي النفسي والمجتمعي والفكري.

ومن ثم فإن الدافع في قصدية خطاب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام هو تذكيرهم بما كانوا عليه من انحرافات أخلاقية ونفسية واجتماعية وتحقيق جملة من الأمور تدفع بمجملها إلى النجاة من وقوع الفتن، وتجنب الإنسان المسلم العودة الى قيم الجاهلية، وهي كالآتي:

١ - إنّ كثيراً من المسلمين قد جاءوا إلى الإسلام في عام الفتح، أي لم يدركوا من الإسلام إلا شهوراً عدة، ومن ثم فإن هذه المدة غير كافية في تمكين الإنسان من الانسلاخ من بيئته وعاداته التي نشأ عليها، وتجذرت طباعه فيها مما شكل عائقاً في تطبيق التعاليم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فاحتاج إلى التذكير.

٢ - إن كثيراً منهم وإن طال به المقام في الإسلام، إلا أنه لم يزل متأثراً بتلك الأعراف القبلية والعادات الصحراوية، وهذا الصنف وإن لم يجد الفرصة في إظهار تلك العادات فإنه سيظهرها حينما تتهيأ له الظروف، ومن ثم قد

(١) الكافي للكليني: ج٨ ص ٦٢-٦٣؛ الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص ٣٩٢.

يلتبس الأمر على غيره من المسلمين في التثبت بين ما هو إسلامي وعرفي.

٣ - إنّ البعض لاسيما حكام الجور وأهل النفاق حينما لم يجدوا القدرة على التخلص من هذه الأخلاق سعى إلى إلصاقها برسول الله (صلى الله عليه وآله) كي يستطيع أن يمارسها فضلا عن أن الخليفة أو الوالي سيرد بها على المعترضين عليه لما فعله من خلق قبيح، وهو ما دعا الرواة والمصنفين الى تأسيسها في مصنفاتهم وتشيدها في كتبهم ومجالسهم، ومنهم البخاري ومسلم وغيرهم، فكانوا مشيدين لما أصل له الشيخان في رسم الصورة السيئة عن النبي (صلى الله عليه وآله) لتظهر عبر الرسوم المسيئة التي نشرتها صحيفة يولاندس بوستن وغيرها من الصحف أو الكتب التي تناولت حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو ما سنتناوله في المبحث القادم.

المبحث الثالث

تشيّد البخاري ومسلم لأصول الرسوم المسيئة للنبي (ﷺ) فكانت من ثوابت أهل السُنّة والجماعة

المسألة الأولى: تثقيف الناس على ممارسة النبي (ﷺ) لأخلاق الجاهلية كما يروي البخاري - والعياذ بالله -.

أولاً: رواية البخاري وغيره في أكل النبي (ﷺ) من ذبائح الأصنام والأوثان -والعياذ بالله-.

إنّ أول ما يتلقاه المسلم والقارئ من تدوير قيم الجاهلية في الإسلام وتخصيصها بشخص نبي الإسلام (صلى الله عليه واله) هي بيان البخاري لرواية عبد الله بن عمر بن الخطاب في أكل رسول الله (صلى الله عليه واله) من لحوم الذبائح التي يذبحها الوثنيون لأصنامهم وأوثانهم -والعياذ بالله مما يقولون- وكأنه لا يأبه للوثنية التي تغلغلت في المجتمع العربي على نحو العموم والمكي على نحو الخصوص كما مرَّ بيانه في المبحث السابق، أو أنه لا يعلم أنها من الوثنية التي يتجنبها الكثير من أشراف مكة ولا يتقربون لها، أو كأنه لم يكن يعلم أنه المخصوص بالنبوة والمصطفى للرسالة ولم تكن الآيات الإلهية تحيط به منذ أن ولد، وصحبته في طفولته فيستسقى الغمام بوجهه، وتضلله السحاب في شبابه، ويسلم عليه الحجر والشجر بالنبوة قبل أن يهبط الوحي.

ثم نجد بعد هذه الحجج والدلالات على معرفة النبي (صلى الله عليه واله) بنفسه وأنه المخصوص باللطف والعناية الإلهية يروي ابن عمر ما يناقض الثوابت العقلية والإيمانية بأنه يأكل ما يقدم للأصنام من القرابين!!!

١ ـ نص الرواية في صحيح البخاري.

فقد أخرج البخاري (٢٥٦هـ)، عن موسى بن عقبة، قال:

(أخبرني سالم انه سمع عبد الله [بن عمر] يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه [واله] وسلم)، أنه لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله (صلى الله عليه [واله] وسلم) الوحي، فقدم إليه رسول الله (صلى الله عليه [واله] وسلم) سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال:

إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا مما ذكر اَسم الله عليه)[1].

والسؤال الذي يفرضه البحث:

كيف يعقل أن يعرف زيد بن عمرو ما هو ليس لله عز وجل فيمتنع عن أكله ويُقدم بذلك درساً لرسوله الله (صلى الله عليه واله) في حرمة أكل ذبائح الوثنية، فيمتنع النبي (صلى الله عليه واله) من أكلها بعد هذه الحادثة؟!!

ومن ثم من المخصوص باللطف والعناية الإلهية سيد الخلق (صلى الله عليه واله) أم ابن نفيل؟!!ومن الأقرب الى الله في هذه الحادثة من أكل من لحوم الأنصاب أم من أمتنع؟!!

وجوابه في ثانياً:

٢ ـ الهدف من الرواية وأثرها في الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله).

مما لا ريب فيه أن مقاصدية الرواية شيء آخر يراد منه تحقيق بعض الغايات، وهي:

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح: ج٦ ص٢٢٥ .

١ـ تدوير قيم الجاهلية في الإسلام وتثقيف الناس على التهاون في الوقوع في المحرمات لا سيما من الرموز، ومن ثم سهولة التماس الأعذار لهم كما تم تمريره في الرواية بأن الحدث كان قبل النبوة.

٢ ـ تجريد شخص النبي (صلى الله عليه واله) من الحصانة والعناية الربانية التي تحيط به، فضلا عن تحقق مقتضيات النبوة قبل إعلانها بين الناس وهي كمال العقل وحسن السيرة ليعرفهم الداني والقاصي وهو منهج قرآني بينه الله عزوجل في محكم كتابه في بيانه لسيرة أنبيائه قبل مبعثهم الى الناس علانية، أي مرحلة التبليغ بما كلفوا به، حتى تكاد لا تفرق بين سيرتهم بين الناس قبل النبوة أو بعدها سوى ما أمروا به من الشرائع.

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«ولَقَدْ قَرَنَ اللهَ بِه [صلى الله عليه واله] مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي...»[1].

فهذا ما يؤمن به القلب ويقره العقل ويقطع به، وليس ما يرويه البخاري وغيره عن ابن نفيل بأنه كان يمتنع من أكل قرابين الأوثان وذبائح الأصنام ويأكلها رسول الله (صلى الله عليه واله) فـ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣].

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي (رحمه الله)، الخطبة: ١٩٢، بتحقيق صبحي الصالح: ص ٣٠٠.

٣ ـ إن الراوي للحدث كان يطمح للوصول الى رفع شأنيته بين الناس وأنه من أسرة تمتاز برجاحة العقل وتجنب أفعال الجاهلية وأنها لم تختلف في منهجها هذا عن النبي (صلى الله عليه واله)، وهو ما دلت عليه الرواية التي أخرجها إمام الحنابلة في مسنده عن نفيل بن هشام ابن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن جده، قال:

كان رسول الله (صلى الله عليه [واله] وسلم) بمكة هو وزيد بن حارثة، فمر بهما زيد بن عمرو بن نفيل فدعوه إلى سفرة لهما، فقال:

يا ابن أخي انى لا آكل مما ذبح على النصب! قال:

فما رؤى النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك أكل شيئا مما ذبح على النصب!!! قال:

قلت يا رسول الله [صلى الله عليه واله]: إنَّ أبي كان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدركك لآمن بك واتبعك، فأستغفر له؟ قال:

«**نعم فاستغفر له فإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة**»[1].

وقول الراوي هنا: (إنَّ أبي كان كما قد رأيت وبلغك)، أي من امتناعه من أكل ما يذبح للأصنام ومما لا يذكر أسم الله عليه والذي شهده النبي (صلى الله عليه وآله) يستحق أن يستغفر له، فكان جواب النبي (صلى الله عليه وآله): «**نعم فاستغفر له فإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة**».

هو الغاية المرجوة من هذه الحادثة التي ثقف الناس عبرها على تعظيم

(١) مسند أحمد: ج١ ص١٩١.

من كان في عصر الجاهلية وإنْ لم يرى النبي (صلى الله عليه واله) ويؤمن به فهو سيبعث أمة، وأن أخلاق الجاهلية وقيمهم الاجتماعية يمكن العمل بها بعد الإسلام، وأن لا غرابة في الأمر حينما يشاهد المسلم ممارسة بعض الخلفاء والأمراء والولاة وغيرهم من تدويرهم نفايات الجاهلية وصناعتها في مفاهيم إسلامية ليعاد أستخدمها في المجتمع.

ثانياً: رواية البخاري ومسلم وأحمد في أن النبي (ﷺ) يؤذي الناس ويسبهم ويلعنهم -والعياذ بالله-.

١ـ نص الرواية في صحيح البخاري.

يروي لنا البخاري في (الصحيح) عن أبي هريرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنه قال:

«اللهم إنما محمد بشر، يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً لم تخلفنيه، فإيما عبد آذيته، أو مسسته، أو جلدته، فاجعلها كفارة وقربة تقربها إليك»[1].

وفي حديث آخر، أنه قال:

«اللّهم إنما أنا بشر فإيما رجل من المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من آذيته فاجعله له زكاة.

(٢) المصدر السابق.

وقال أيضا:

«اللهم إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهورا وزكاة وقربة تقر به بها منه يوم القيامة»[1].

٢ـ مناقشة الروايات وأثرها في رسم الصورة المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم).

ونلاحظ في الحديث أن الراوي أراد أن يقدم صورة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الناس بأنه كان (يسب ويلعن ويجلد) -والعياذ بالله- ومن ثم فإن كان الحاكم الذي يحكم المسلمين على هذه الأخلاق التي نشأ عليها العرب في الجاهلية هي نفسها كانت تمارس من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) -والعياذ بالله- وبعلة مقبولة لدى ضعاف النفوس بأن النبي (صلى الله عليه وآله) بشر ومن ثم يجري عليه ما يجري على البشر.

في حين أن المثلية البشرية إنما يراد بها الأكل والشرب والتزاوج والموت والمرض وغير ذلك كي لا تندفع الناس إلى تأليه الأنبياء (عليهم السلام)، أما في الجانب الأخلاقي والكمالي فهم منزهون عن الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما خفي؛ وإلا لأنتفت النبوة، وذلك لما يحدث فيها من تعارض بين ما حرم الله تعالى وبين وقوع الأنبياء (عليهم السلام) -والعياذ بالله- بتلك المحرمات كإيذاء عباد الله وجلدهم وسبهم ولعنهم، وهذه الأفعال

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب باب (٢٥) باب من لعنه النبي (صلى الله عليه وآله) أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة: ج٤: ٢٠٠٩ ح ٩٥.

محرمة على المسلم فكيف بسيد الخلق (صلى الله عليه وآله) وقد مدحه ربه عز وجل فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وقال ابن أبي مليكة عن عائشة: (إنَّ يهودا أتوا النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم.

قال (صلى الله عليه وآله):

«**مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش**».

قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال (صلى الله عليه وآله):

«**أو لم تسمعي ما قلت «؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم فيَّ**»)[2].

فضلا عما ورد في الصحيح: أنه لما قيل له أدع على المشركين، قال: (صلى الله عليه وآله):

«**إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة**»[3].

بل، كان ينهاهم عن لعن الدواب[4].

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله): يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا، ٨: ١٠٦ و ص١٥ كتاب الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب ٢٤: النهي عن لعن الدواب، ج٤، ص٢٠٠٤.

(٤) المصدر السابق.

وعليه:

فأن السب واللعن والفحش لم يكن من خلقه، بل هو مما بدا في خلق عائشة فنهاها عن ذلك وأمرها بالرفق واللين، لكنها مع هذا التوجيه ولغلبة طبعها ترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقولها:

أو لم تسمع ما قالوا!!!

مما يكشف عن أن الواقعة القيمية للخلق النبوي تتجدد بتجدد المعرفة بهذا الخلق وكذا بمعرفة ما كانت عليه أخلاق الجاهلية، وما حرمه الله تعالى من هذه الأخلاق وما هو جهد النبي (صلى الله عليه وآله) في إنقاذ الناس وتعليمهم وتزكيتهم، لا العكس أي: ما تم تدويره من أخلاق الجاهلية في التراث الإسلامي ونسب بعضه -والعياذ بالله- الى سيد الخلق وعنوان الكمال الأخلاقي، مما أدى إلى أن كثيراً من المسلمين اليوم وبفعل تلك الأحاديث وسيرة أئمة الضلال لأبعد الناس عن الإسلام وأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله).

المسألة الثانية: تثقيف الناس على وقوع النبي (صلى الله عليه وآله) - والعياذ بالله - بالمحرمات والتهاون فيها!!

لم يكتف أهل الضلال بتلفيق أحاديث حول نسب بعض الأفعال المنافية للأخلاق القرآنية إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنما تمادوا في الجرأة على الله تعالى فنسبوا بعض المحرمات إليه -والعياذ بالله-، وعلى سبيل الاستشهاد نورد ما يلي:

أولاً - أتهام النبي (ﷺ) بالبقاء على الجنابة فيصلي وهو جنب - والعياذ بالله - !!

١ ـ نص الرواية في صحيح البخاري.

إنّ مما يلاحظ في ظاهرة تدوير الواقعة القيمية في الجاهلية وبثها في المجتمع الإسلامي عِبْر نسبها الى أقدس مكوناته، أي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هو ما أخرجه البخاري، وأحمد، وغيرهما، فكان منه: قولهما عن أبي هريرة:

(أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً، فخرج إلينا رسول الله [صلى الله عليه وآله] فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب! فقال لنا: «**مكانكم**».

ثم رجع فاغتسل ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر فصلينا معه)[١].

٢ ـ مناقشة الرواية وأثرها في الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله).

والحديث يكشف عن وضعه بنفسه، ويصرخ بكذبه على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن أنى لهم أن يسمعون، وقد قال الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الانعام:٢٥].

١ـ كيف يبقى سيد الخلق (صلى الله عليه وآله) -والعياذ بالله- على الجنابة فيكون ذلك حاجزاً بينه وبين نزول الوحي (عليه السلام)، فهو لا يعلم متى يهبط عليه!! وماذا يصنع لو أراد الله أن يطلعه على أمرٍ أو على آية من كتابه الكريم أو شؤون الخلق!! أترى ينتظره الله تعالى حتى يتذكر أنه على جنب ثم ينزل عليه التكاليف الشرعية؟!!

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب: أذا ذكر في المسجد أنه جنب: ج١، ص٧٢؛ مسند أحمد: ج١، ص٧٢.

٢ـ ما هو ذنب المسلمين يبقون على وقوفهم وقد عطلت صلاتهم وتأخرت مصالحهم وبيعهم وشراؤهم وشؤونهم حتى يذهب النبي (صلى الله عليه وآله) إلى داره ليغتسل ثم يعود يصلي بهم؟ ألم يكن بالإمكان أن يأمر أحد أصحابه أن يصلي بالمسلمين كي ينصرف هو إلى الغسل وينصرفوا هم إلى شؤونهم ومصالحهم؟

٣ـ لا شك أن المراد من هذه الأكذوبة هو تمرير فعل الخلفاء والحكام في بقائهم على الجنابة أو قدومهم إلى الصلاة وهم مخمورون لا يدركون ما يقولون ولا يعلمون أين يضعون أقدامهم كما هو حال خلفاء بني أمية وولاتهم ولعل حال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لغني عن التعريف في صلاته بالناس مخموراً حتى أخمص قدمه، فاستفرق في محراب مسجد الكوفة.

٤ـ أو بقاء بعض الصحابة على الجنابة حتى تدركهم الصلاة كعبد الله بن عباس وقد وقع على جارية له رومية، فعن سعيد بن جبير قال:

(كان ابن عباس في سفر معه ناس من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) منهم عمار بن ياسر، فكانوا يقدمونه لقرابته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فصلى بهم ذات يوم فضحك وأخبرهم أنه أصاب من جارية له رومية فصلى بهم وهو جنب متيمم).

٥ـ ثم ما بال أبي هريرة يفضح نفسه في رواية أخرى فيكشف عن بقاءه على الجنابة فلا يغتسل، ثم يظهر نفسه لنا أنه حريص على الطهارة فلا يجالس النبي (صلى الله عليه وآله) إلا على وضوء، في حين يصف لنا النبي (صلى الله عليه واله) باقيا على الجنابة -والعياذ بالله- فلا يغتسل منها حتى يخرج الى المسجد ليصلي بالصحابة صلاة الجماعة؟ قال أبو هريرة:

(إنّ النبي [صلى الله عليه وآله) لقيه في بعض طرق المدينة وهو جنب [أي أبو هريرة]، فانخنس منه [أي من النبي (صلى الله عليه وآله)] فذهب فاغتسل ثم جاء، فقال له:

«**أين كنت يا أبا هريرة**»؟ قال: كنت جنبا فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة، فقال:

«**سبحان الله إن المؤمن لا ينجس**».

والسؤال المطروح: كيف ينجس النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «**إنّ المؤمن لا ينجس**»؟!! فنعوذ بالله مما يقولون ويفترون على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

٦ ـ لقد ذهب فقهاء المذاهب الى كراهة النوم على جنابة ما لم يتوضأ المجنب، ومن ثم كيف يعقل أن يقع النبي (صلى الله عليه وآله) في المكروهات وقد تجنبها كثير من المسلمين؟! فمن أقوالهم:

قال المحقق النراقي (١٢٤٤هـ) في موارد نافلة الوضوء: (ومنها: النوم لرواية الصدوق. «**من تطهر ثم آوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده**»[١].

ومثله في ثواب الأعمال والمحاسن، وزاد في الأخير: «**فإن ذكر أنه ليس على وضوء فيتيمم من دثاره كائنا ما كان، لم يزل في صلاة ما ذكر الله**»[٢].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١ج: ص ٢٩٦ / ١٣٥٣، الوسائل، الحر العاملي: ج١: ص ٣٧٨ أبواب الوضوء، ب ٩ ح ٢.

(٢) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق: ص ١٨، المحاسن، البرقي: ص ٤٧ / ٦٤، الوسائل، الحر العاملي: ج١ ص ٣٧٨ أبواب الوضوء ب ٩ ح ١، ٢.

وتلك الزيادة قرينة على إرادة الوضوء من الطهارة، فلا يرد عدم ثبوت الحقيقة الشرعية فيها.

ويتأكد لنوم الجنب، لا لصحيحة الحلبي: عن الرجل، أينبغي له أن ينام وهو جنب؟ فقال:

«**يكره ذلك حتى يتوضأ**»[1]، لما مر في أول المبحث، بل لما في الغنية والمنتهى وظاهر التذكرة والمعتبر[2] من الإجماع عليه. مضافا إلى موثقة سماعة: عن الرجل يجنب ثم يريد النوم، قال:

«**إن أحب أن يتوضأ فليفعل والغسل أفضل**»[3].

قال النووي (ت٦٧٦هـ):

(هذا الذي ذكرناه من كراهة النوم قبل الوضوء للجنب هو مذهبنا وبه قال أكثر السلف أو كثير منهم حكاه ابن المنذر عن علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي سعيد الخدري وشداد بن أوس وعائشة والحسن البصري وعطاء والنخعي ومالك واحمد وإسحاق واختاره ابن المنذر قال وقال سعيد بن

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ج١ ص٤٧ / ١٧٩، الوسائل ١: ٣٨٢ أبواب الوضوء ب١١ ح١.

(٢) الغنية (الجوامع الفقهية) ٥٥٠، منتهى الأحكام، العلامة الحلي: ج١ ص ٨٩ تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ج١ ص ٢٥، المعتبر ١: ١٩١. ولا يخفى أن معقد الاجماع في كلام المذكورين هو كراهة النوم للجنب قبل أن يتوضأ وقد ناقش المصنف في صدر البحث في كفايتها لإثبات استحباب الوضوء ولهذا لم يستدل بصحيحة الحلبي، والمظنون أنه اعتمد في نقل الاجماع عن هؤلاء على نقل كشف اللثام حيث قال - بعد الاستدلال بصحيح الحلبي -: وفي الغنية والمنتهى وظاهر المعتبر والتذكرة الاجماع عليه. كشف اللثام ١: ٧.

(٣) التهذيب ١: ٣٧٠ / ١١٢٧، الوسائل ٢: ٢٢٨ أبواب الجنابة ب ٢٥ ح ٦.

المسيب وأصحاب الرأي هو بالخيار)[1].

ومن ثم: لابد أن يكون هناك تثقيف على قبول حالات كهذه للحكام والخلفاء الذين صادروا معنى ولاة الأمر ومفهومه ودلالته فأوجب وعاظ السلاطين طاعتهم على الناس.

ثانياً: اتهام النبي (ﷺ) بالجلوس على فراش امرأة ليلة عرسها واستماعه للمعازف برواية البخاري - والعياذ بالله - .

يروي البخاري في جامعه الذي سماه بـ (الصحيح) اشتراك النبي - والعياذ بالله - بالحفلات النسائية التي تقام في الأعراس وجلوسه على فراش العروس وهي امرأة أجنبية وهو فعل لا يليق برجل وقور وإن لم يكن على دين! فكيف ينسب البخاري هذا العمل القبيح والمحرّم لسيد الخلق (صلى الله عليه وآله) وخيرته من خلقه؟!! وهي على النحو الآتي:

١ ـ نص الرواية في صحيح البخاري.

أخرج البخاري عن خالد بن ذكوان، قال:

(قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء: جاء النبي (صلى الله عليه [واله] وسلم) فدخل حين بنى عليَّ، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف، ويندبن من قتل من آبائي، يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد.

فقال: [صلى الله عليه وآله]:

(١) المجموع: ج٢ ص١٥٨ .

«دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين»[1])؟!

٢ ـ مناقشة الرواية وبيان أثرها في الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله).

والحديث لا يحتاج إلى تعليق فهو غني عن البيان في نسب الأفعال المحرمة -والعياذ بالله- إلى أشرف الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله)، إلاّ أن هناك ثمت استفهامات، منها:

أ ـ ما الداعي لذهاب النبي (صلى الله عليه وآله) الى ليلة زفاف الربيع بنت معوذ وهي امرأة أجنبية عليه وليجلس بقربها وعلى فراش عرسها؟!!

ب ـ وماذا يفعل ابن ذكوان عندها ليجلس على فراشها وهي أجنبية عليه أيضاً؟!!

ج ـ إن قولها لأبن ذكوان في بيان قرب مجلسه منها وعلى فراشها، (فجلس على فراشي كمجلسك مني)، كأنها تريد أن تعطي مشروعية لهذه الجلسة والدخول الذي دخل عليها ابن ذكوان فألصقت الفعل والعياذ بالله برسول الله (صلى الله عليه واله)، لا سيما وأنها كانت مطلقة من ابن عمها وقيل عمتها الذي خلعته بما تملك فلم يبق لها سوى مدرعتها كي تتخلص منه، وهي القائلة:

(قلت لزوجي: أختلع منك بجميع ما أملك؟ قال: نعم، فدفعت إليه كل شيء غير درعي، فخاصمني إلى عثمان، فقال: له شرطه، فدفعته إليه)[2].

---

(١) صحيح البخاري: باب قصة غزوة بدر: ج٥، ص١٥؛ وأخرجه في كتاب النكاح: ج٦ ص١٣٦.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٨ ص٤٤٧ .

د ـ إنّ مما جرت عليه الأعراف في الأعراس أن يصاحبها الفرح، ويقال فيها الأهازيج والمدائح، أما أن يكون في ليلة الزفاف نساء يضربن بالدفوف ويندبن الموتى حزناً على قتلهم بيد المسلمين يوم بدر وفي بيت مسلمة صحابية وفي محضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهذا لا يراد منه إلا إيذاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والتنكيل بما فعله المسلمون يوم بدر، فضلا أن هذه الصحابية لم تزل تحن الى آبائها المشركين الذين قتلوا في بدر فكيف يصح إسلامها ورويتها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومنها هذه الرواية المنكل به والعياذ بالله.

ثالثاً: أتهام النبي (ﷺ) في إقامة الغناء والمعازف في داره برواية البخاري - والعياذ بالله - .

وهذه التهم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما في مواضع عده، ونحن نكتفي بشاهد واحد منها، منعاً من الإطالة في البحث.

١ ـ نص الرواية في صحيحي البخاري ومسلم.

أخرجها البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة:

(إنَّ أبا بكر دخل عليها والنبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) عندها يوم فطر أو أضحى، وعندها قينتان[١] تغنيان بما تقاذفت الأنصار[٢] يوم بعاث[٣]،

(١) القينة: غالبا تستعمل في المغنية، وفي لفظ بعض الروايات جاريتان.

(٢) تقاذفت أي تشاتمت وتسابت فيما بينها وهي من سنن الجاهلية.

(٣) بعاث: اسم حصن للأوس، ويوم بعاث يوم جرت فيه معركة بين الأوس والخزرج في الجاهلية انتصر فيه الأوس على الخزرج.

فقال أبو بكر: مزمار الشيطان[1]، مرتين!! فقال النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم):

«**دعهما يا أبا بكر أن لكل قوم عيدا وأن عيدنا هذا اليوم**»[2].

وبلفظ آخر أخرجه البخاري ومسلم، عنها أنها قالت:

(دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين!! فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)؟!! وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم):

«**يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا**»[3].

٢ ـ مناقشة الرواية وبيان أثرها في الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله).

١ ـ إنّ من الغرابة أن يلتفت أبو بكر الى أن المزامير من رجس الشيطان ولا يلتفت النبي (صلى الله عليه وآله) والعياذ بالله الى ذلك؟!!

٣ ـ وما شأن عائشة بالمغنيات والمزامير فيتكرر منها إدخالهن الى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أين هي من تكاليفها الشرعية التي أمرها الله بها في سورة الأحزاب وأنه جعل لها كفلين من العذاب بمخالفة هذه التكاليف الشرعية.

(١) المزمار والمزمور: آلة من خشب أو معدن تنتهي قصبتها ببوق صغير، وهو من آلات المعازف المستخدمة في عصر الجاهلية.

(٢) صحيح البخاري، باب: هجرة النبي (صلى الله عليه وآله): ج٤ ص٢٦٦ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب: العيدين: ج٢ ص٣؛ صحيح مسلم، باب: الرخصة في اللعب، ج٣ ص٢١ .

٤ ـ وكيف يعقل أن يستمع النبي (صلى الله عليه وآله) للغناء لو فرضنا أن الأمر كان يخص عائشة فهي شغفة بالمغنيات واللعب معهن كما يروي البخاري عنها، قولها:

(كنت ألعب بالبنات عند النبي [صلى الله عليه وآله] وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إلي فيلعبن معي)[1].

٥ ـ وما حكم استماع هذه الشتائم والتسابب وهي تتعالى من بيت عائشة، أفهل هي مباحة في الأعياد؟

٦ ـ وإذا كانت المزامير تضرب والمغنيات تتغنى وتردد الشتائم والفواحش من القول والفسق والفجور مما اعتادت عليه العرب في الجاهلية بحجة أن ذلك في العيد ويوم الأضحى أو الفطر الذي خصصه الله تعالى لشكر النعمة، فما بال فتاوى مشايخ المسلمين تحرم أعياد (الكرسمس) أي راس السنة الميلادية، (والفلانتاين)، أي: عيد الحب، أو عيد الشجرة أو أعياد الميلاد للرجال والنساء وعائشة تمارسها وفي بيت النبي (صلى الله عليه وآله) كما يروي البخاري ومسلم؟!

٧ـ إنَّ مما لا ريب فيه أن هذه الروايات نسخة جديدة من سنن الجاهلية التي لم يزل العرب متمسكون بها في حياتهم في أفراحهم وأحزانهم ورسوخها

---

(١) صحيح البخاري ٨: ٣٧ كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس، صحيح مسلم ٤: ١٨٩٠ كتاب فضائل الصحابة باب (١٣) باب في فضل عائشة ح ٨١، مصابيح السنة ٢: ٤٤٣ كتاب النكاح باب (١٠) باب عشرة النساء... ح ٢٤٢٠.

في موروثهم الثقافي ولم يكن إسلامهم برادع لهم من ترك هذه السنن والقيم الأخلاقية المتردية، ومن ثم فقد تم تدويرها في الإسلام وبهذا المستوى الذي أرادوا عِبْره شرعنة هذه الممارسات، فألصقت برسول الله (صلى الله عليه وآله) -والعياذ بالله- لا سيما ممارسات الخلفاء والأمراء والحكام منذ أن توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) والى يومنا هذا.

٨ ـ ولعل ما رواه البلاذري وأبو الفرج الأصفهاني في ترجمته للمغنين الذين اشتهروا منذ أن تولى عثمان الخلافة وتركه العنان لبني عمومته في ممارسة قيم الجاهلية ليغني عن التتبع في بيان الغاية من إلصاق هذه الأحاديث بشخص رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمما قاله في ترجمتهم:

أ ـ كان ابن سيحان حليف بني حرب بن أميّة شاعرا حلو الحديث وهو على ذلك يقارف الشراب، فكان ينادم أحداث بني أميّة، وكان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان الوليد بن عثمان بن عفّان ينادم الوليد بن عتبة، وهو جاء بابن سيحان إليه، فأصاب الوليد بن عتبة خمار فدعا بابن سيحان فقال له: اشرب، فأتى بإداوة فيها فضلة شراب فشربها، ثم أمدّوه فقال:

بأبي الوليد وأمّ نفسي كلّما ... كان الصباح وذرّ قرن الشارق[1]

ب ـ أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلا على منزل يزيد ابنه، فسمع صوتا أعجبه، واستخفّه السماع فاستمع قائما حتى ملّ، ثم دعا بكرسيّ فجلس

(١) أنساب الأشراف، البلاذري: ج٥ ص٦١ص؛ الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: ج٢ ص٤٩١.

عليه، واشتهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى ملّ. فلما أصبح غدا عليه يزيد.

فقال له: يا بنيّ! من كان جليسك البارحة؟ قال: أيّ جليس يا أمير المؤمنين؟ واستعجم عليه. قال: عرّفني فإنه لم يخف عليّ شيء من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأخثر له يا بنيّ من برّك وصلتك، فما رأيت بمجالسته بأسا، سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به) [1].

ج- بل الأدهى من ذلك قيام أهل المدينة بعد تولي معاوية الخلافة عام ٤١ للهجرة بمجالس الغناء واجتماعهم إليه الى حد أنه لم يعيروا اهتمامًا بقدوم معاوية الى المدينة، وفي ذلك يروي الأصفهاني:

(قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم؛ فأمر حاجبه بالإذن للناس؛ فخرج الآذن ثم رجع فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجّه إليهم. فلما جلس قال بعض القرشيّين لسائب خاثر: مطرفي هذا لك -وكان من خزّ- إن أنت اندفعت تغنّي ومشيت بين السّماطين وأنت تغنّي. فقام ومشى بين السماطين وغنّى:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك، ثم قام وانصرف إلى منزله).[2]

(١) الأغاني: ج٨ ص٤٤٧.
(٢) المصدر السابق.

رابعاً: أتهام النبي (صلى الله عليه وآله) بالتبول واقفاً كما يروي البخاري - والعياذ بالله - .

١ـ نص الرواية في صحيح البخاري.

١ـ روى البخاري ومسلم عن حذيفة، قال: (أتى النبي (صلى الله عليه -وآله-) سباطة قوم فبال قائماً، ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضّأ)[١].

٢ـ روى البخاري عن أبي وائل قال: (كان أبو موسى الأشعري يشدد في البول ويقول بني إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه، فقال حذيفة: ليته أمسك، أتى رسول الله صلى الله عليه -وآله- سباطة قوم فبال قائماً)[٢].

٣ـ عن أبي حذيفة قال: (رأيتني أنا والنبي صلى الله عليه -وآله- نتماشى فأتى سباطة قوم خلف حائط فقام كما يقوم أحدكم فبال فانتبذت منه فأشار إليّ فجئته فقمت عند عقبه حتى فرغ)[٣]!!!

٢ ـ مناقشة الرواية وبيان أثرها في الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله).

وهذه الأحاديث الملفقة الضالة أريد منها إبقاء القوم على سنن الجاهلية وأخلاقها فضلاً عن التعريض والاستهزاء بشخص رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإهانته، والعياذ بالله مما يفترون على الله ورسوله (صلى الله عليه وآله).

فضلاً عن تبرير هذه الأفعال التي كان بعض الصحابة يفعلها فنسبت إلى سيد الخلق (صلى الله عليه وآله) كي لا يعترض الناس على من يقوم بها

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: البول قائمًا: ج١، ص٦٢.
(٢) صحيح البخاري، باب: المسح على الخفين: ج١، ص٦٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: البول عند صاحبه والتستر بالحائط.

لاسيما وإن فعل التبول عن وقوف كان من خلق عمر بن الخطاب وغيره، كما أخرج الترمذي في سننه عن عمر قال: (رآني رسول الله [صلى الله عليه - وآله] وأنا أبول قائماً، فقال:

«**يا عمر لا تبل قائماً**» فما بلت قائماً قط)[1].

وعليه:

كيف لا يتجرأ أهل الثقافات المخالفة للإسلام والمسلمين من الإساءة لرسوله الله (صلى الله عليه وآله) وقد امتلأت كتب المسلمين بهذا الصور البشعة والمسيئة بأشد الإساءة له، وكأنهم لا يعرفون منه سوى هذه الانتهاكات والعياذ بالله وقد استقالت عقولهم بذريعة المسند الصحيح؟!!

وكأنهم لم يقرئوا قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقوله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الاحزاب:٤٥- ٤٦]، وغيرها من الآيات المباركة الكاشفة عن منزلته وشأنيته ومقامه عند الله تعالى.

لكنها التوافقات الفكرية بين ثقافة الصحيح وثقافة حرية التعبير وأثارهما في نشر الصور المسيئة، وهو ما سنتناوله في الفصل الثاني من الدراسة.

---

(١) سنن الترمذي: ج١، ص١٠؛ المستدرك للحاكم: ج١، ص١٨٥؛ نيل الأوطار للشوكاني: ج١، ص١٠٧.

الفصل الثاني

التوافقات الفكرية والتثاقفية في الإتكاء على الذرائعية بين ذريعة الصحيح وذريعة حرية التعبير

- **توطئة:**

ترشد المرتكزات الأنثروبولوجيا الثقافية في التعامل مع الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) الى انكشاف التوافقات الفكرية في الإتكاء على الذرائعية، بين ذريعة الصحيح في النصوص الحديثية التي أخرجها محمد بن أسماعيل البخاري والسكوت على إساءته للنبي (صلى الله عليه وآله) وما أسسه الخلفاء من قبله في ثقافة المجتمعات الإسلامية، وبين ذريعة حرية التعبير والسكوت على أساءت صحيفة يولاندس بوستن وغيرها من الصحف والكتب في ثقافة المجتمعات الغربية فكلا الثقافتين قد اتكأت على الذرائعية.

كما ترشد تلك المرتكزات في إجراءات المثاقفة بين ثقافة الصحيح في مدرسة الخلافة وعقيدة أهل السنة والجماعة وبين ثقافة حرية التعبير في المجتمعات الغربية إلى أن الفكر الغربي -على نحو عام- قد تأثر بالموروث الأموي والسلفي في نقلهم الصورة المسيئة للنبي (صلى الله عليه واله) عبر الأصول التي أسسها الولاة وشيدها البخاري ومسلم وأمضاها منظرو الحركات التكفيرية وتعدد صورها ومسمياتها وأتحادها في الفكر والرؤية والتعامل مع المسلمين وغيرهم من أبناء الديانات والمعتقدات، وهو ما سنتناوله في هذا الفصل.

المبحث الأول

رمزية البخاري في ثقافة أهل السُنّة والجماعة وأثرها في نشر الرسوم المسيئة للنبي (ﷺ) والسكوت عليها بذريعة الصحيح

المسألة الأولى: شأنية البخاري وكتابه عند أهل السُنَّة والجماعة ودخول المثاقفة في تكوينها.

امتزجت شأنية البخاري وكتابه المسمى بالجامع الصحيح لدى أهل السنة والجماعة بمزيج من الثقافات المتعددة كالآسيوية والكهنوتية والإسلامية، وهو ما تكشف عبر كلمات أعلام أهل السنة والجماعة في بيانهم لشأنية محمد بن اسماعيل البخاري وكتابه، فقد ترجم له الذهبي، فقال:

(شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن برد زبه الجعفي، مولاهم البخاري، صاحب الصحيح والتصانيف، مولده في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وأول سماعه للحديث سنة خمس ومائتين، وحفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبي، ونشأ يتيما ورحل مع أمه وأخيه سنة عشر ومائتين بعد أن سمع مرويات بلده من محمد ابن سلام والمسندي ومحمد بن يوسف البيكندي.

وسمع ببلخ من مكي ابن إبراهيم، وببغداد من عفان، وبمكة من المقرئ، وبالبصرة من أبي عاصم والأنصاري، وبالكوفة من عبيد الله بن موسى، وبالشام من أبي المغيرة والفريابي، وبعسقلان من آدم. وبحمص من أبي اليمان، وبدمشق من أبي مسهر، شدا وصنف وحدث وما في وجهه شعرة، وكان رأسا في الذكاء، رأسا في العلم، ورأسا في الورع والعبادة.

حدَّث عنه الترمذي ومحمد بن نصر المروزي الفقيه وصالح بن محمد جزرة ومطين وابن خزيمة وأبو قريش محمد بن جمعة وابن صاعد وابن أبي داود، وأبو عبد الله الفربري وأبو حامد ابن الشرقي ومنصور بن محمد البزدوي وأبو عبد الله المحاملي وخلق كثير.

وقال محمد بن خميرويه: سمعت البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، وقال ابن خزيمة: ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري.

قلت [أي الذهبي]: قد أفردت مناقب هذا الإمام في جزء ضخم فيها العجب فهو ومسلم وأبو داود والترمذي رجال الطبقة الخامسة من الأربعين للمقدسي. مات ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. وفيها توفى الزبير بن بكار، وعلي بن المنذر الطريقي، ومحمد بن أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، ومحمد بن عثمان بن كرامة)[1].

بل: إننا نجد شهادات أخرى لغير الذهبي تسوّق إلى سلطة كتاب الجامع الصحيح بأعظم مما سوقه رجال الكهنوت، وذلك أن رجال الكهنوت قد شهدوا لمجموعة كتب ذات التشريع، أما أعلام أهل السنة والجماعة فقد سوقوا لسلطة الكتاب الواحد الذي له من الكرامات ما يفوق كتاب المسلمين الأول وهو القرآن، فكانت هذه الشهادات الكهنوتية، على النحو الآتي:

(١) تذكرة الحفاظ: ج٢ ص٥٥٥-٥٥٦.

١- قال الذهبي (ت ٧٤٨هـ):

(وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله)[١].

٢- قال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) عن الشيخ أبي عبد الله بن أبي جمرة قال:

قال لي من لقيت من العارفين عمن لقيه من السادة المقر لهم بالفضل أن صحيح البخاري ما يُقْرأ في شدة إلا فرجت؛ ولا رُكب به في مركب فغرقت[٢].

وقال أيضا:

(إنّ الشيخ عبد الله بن أبي جمرة كان مجاب الدعوة وقد دعا لقارئه، أي لقارئ صحيح البخاري)[٣].

٣- قال عماد الدين بن كثير (ت ٧٧٤هـ):

(وكتاب البخاري الصحيح يُستسقى بقراءته الغمام)[٤].

وهذه الشهادات التي جَيَّشَ لها رجال السلفية في تأسيس سلطة كتاب الجامع الصحيح (صحيح البخاري) فاقت حركة رجال الكهنوت المسيحي في منح السلطة للكتب ذات التوجه الديني.

فضلاً عن ذلك:

---

(١) إرشاد الساري: ج١، ص٢٩.
(٢) إرشاد الساري: ج١، ص٢٩ - ٣٠.
(٣) إرشاد الساري: ج١، ص٢٩ - ٣٠.
(٤) المصدر نفسه.

فقد جرت المثاقفة بين ثقافة العقيدة السلفية في رمزية الجامع الصحيح وبيان ثقافة المعتقدات الآسيوية لاسيما وأن البخاري ابن هذه القارة التي انتشرت فيها ثقافة الرمز الديني وتعاليمه المقدسة وكرامات هذه الرموز، كالأمن من الغرق، أو به يستسقى الغمام، وغير ذلك مما أشاعه رجال السلف من شهادات كانت مقاربة جداً لعبادة السيخ في الهند، في تقديسهم لكتاب الجامع الصحيح.

إذ إننا نجد هذه المثاقفة الصوريّة بين ما أطلقه القسطلاني وابن أبي جمرة وابن كثير حول كتاب صحيح البخاري متقاربة مع السيخ وتقديسهم لكتاب (آدى جرانت) (Adi-Granth)، والاسم يعني حرفيا (المجلد الأول).

ولا يخفى ما أحرزه صحيح البخاري من صفة (الكتاب الأول).

فمن المعلم الروحي (أرجان) إلى (جوبند سنغ) ليتطور الكتاب على يد (الجورو) المعلمين الروحيين حتى (يكتسب أهمية أساسية أبان القرن الثامن عشر ومع ظهور (رانجيت سنغ) (Ranjit Singh)، ارتفع جانب الكتاب المقدس فاحتل مكانة السلطة المطلقة التي احتفظ بها منذ ذلك الوقت، حتى أصبح لهذا الكتاب دلالة مركزية مطلقة في الحياة اليومية للسيخ المؤمنين به)[1].

من هنا:

نجد التقارب بين سلطة كتاب (الجامع الصحيح) الذي أوجدها وجيش لها رجال السلفية كالذهبي وابن كثير، وبين سلطة كتاب (المجلد الأول) أو

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جيفري بارندر: ص٢٠٩ - ٢١١.

(أيدي جرانت) وهيمنته على غيره من الكتب والتي أوجدها (الجورو)، -المعلمين الروحيين- مع شهادات رجال الكهنوت المسيحي، هي نتيجة التثاقف بين الثقافة السلفية والسيخية والكهنوتية.

وإنّها لا تخدم إلاّ أصحابها سواء أكانوا رجال الكهنوت، أم المعلمين الروحيين، أم رجال السلف أم رجال السياسة أم رجال العلمانية وحرية التعبير.

المسألة الثانية: هل كان البخاري مؤتمنا على تدوينه للحديث النبوي؟

إنَّ من البداهة بمكان التعريف بشأنية البخاري وكتابه الصحيح وقد عرفهما القاصي والداني وكذا هو الحال بالنسبة لمسلم بن الحجاج وكتابه الصحيح، إلا أن مقتضى المنهج العلمي يلزم كشف الحقائق وأن أحيط البخاري وكتابه بشأنية خاصة عند أهل السنة والجماعة.

وذلك أن القضية الأساس التي يفرضها منهج البحث العلمي هي دراسة الفرضية القائلة بأن البخاري لم يكن مأتمناً على الحديث النبوي فقد تلاعب فيه عبر الحذف، والتكتم، والترك، وتصريحه بذلك، قائلا: (وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول)[1].

بل لم يكن صادقاً في دعواه وجمعه لما صح عن رسول الله (صلى الله عليه واله)، فقد أخرج لجملة من الرواة الذين عرفوا بكفرهم، ومعاداتهم لله ورسوله (صلى الله عليه واله)، وهم على النحو الآتي:

---

(١) إرشاد الساري للقسطلاني: ج١، ص٢٩؛ مقدمة فتح الباري: ج١، ص٤؛ تغليق التعليق لابن حجر: ج٥، ص٤٢٧.

١ – من كفر بالله تعالى كـ (جبير بن معطم)[١].

٢ – ومن كان زعيماً للخوارج كـ (عمران بن حطان)[٢].

٣ – ولمن اشتهر بالكذب كـ (إسماعيل بن أبي أويس)[٣].

(١) اخرج له البخاري في باب الوقوف بعرفة: ج٢، ص١٧٥، وقد نص ابن حجر على أن الحديث الذي أخرجه البخاري لجبير بن مطعم كان حال كفره؛ قال ابن حجر: « وأفادت هذه الرواية أن رواية جبير له لذلك كانت قبل الهجرة وذلك قبل أن يسلم جبير وهو نظير روايته أنه سمعه يقرأ في المغرب بالطور وذلك قبل أن يسلم جبير أيضا كما تقدم وتضمن ذلك التعقب على السهيلي حيث ظن أن رواية جبير لذلك كانت في الإسلام في حجة الوداع ». فتح الباري لأبن حجر: ج٣، ص٤١٢.

(٢) أخرج له البخاري في صحيحه، باب: لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه، وقد صّرح ابن حجر عن عقيدة عمران بن حطان وحاول جاهداً تبرير إخراج البخاري لمثل هذه الشخصية المجاهرة بالخروج من المِلّة، وفي ترجمته يقول: عمران، هو السدوسي كان أحد الخوارج من العقدية، بل هو رئيسهم، وشاعرهم، وهو الذي مدح ابن ملجم [لعنه الله] قاتل علي [عليه السلام] بالأبيات المشهورة، وأبوه حِطان بكسر المهملة بعدها طاء مهملة ثقيلة، وإنما أخرج له البخاري على قاعدته في تخريج أحاديث المبتدع إذا كان صادق اللهجة متدينا!!!!

وقد قيل: إن عمران تاب من بدعته وهو بعيد....!!!؛ «فتح الباري لابن حجر: ج١٠، ص٢٤٤».

أقول:ولم يكشف ابن حجر عن تعريفه للمتدين ومعناه ومفهومه ومصاديق تدينه، والسؤال الذي يفرضه البحث: لو كانت هذه الأشعار في قتل عمر بن الخطاب أفتراه يكون متديناً كما كان حال باقر بطن الخليفة؟!! لا أدري أي دين كان يبحث عنه البخاري وابن حجر في الراوي.

(٣) أخرج له البخاري في الصحيح في ستة عشر موضعاً، وكذا أخرج له مسلم في الصحيح على الرغم من اعتراف إسماعيل بن أبي أويس بأنه يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم متعمداً)، قائلاً:

«ربما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم».

٤ - ولمن كان خارجياً وكذاباً ووضاعاً كـ (عكرمة البربري)[١].

٥ - ولمن كان يقبض المال على رواية الحديث كـ (يعقوب بن إبراهيم)[٢].

٦ - ولمن وصف بالجهالة والضعف كـ (أسباط أبو اليسع البصري)[٣].

أنظر: «سؤالات البرقاني، للدار قطني: ص٤٨؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج١٠، ص٣٩٤؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج١، ص٢٧٣.

(١) أخرج له البخاري في مواضع كثيرة من صحيحه: وقد صّرح مصعب الزبيري بأن: «عكرمة يرى رأي الخوارج»، أنظر: «تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٧، ص٢٣٦».

وصرّح بكذبه عبد الله بن عمر حينما قال لنافع: «أتق الله ويحك يا نافع، ولا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس». أنظر: «تهذيب التهذيب: ج٧، ص٢٣٦».

وكذَّبه عطاء، أنظر: «السنن الكبرى للبيهقي: ج١، ص٢٧٣، باب: الرخصة في المسح.

وكذَّبه سعيد بن جبير، أنظر: «المصنف لعبد الرزاق: ج٨، ص٩٢، باب: كراء الأرض».

(٢) أخرج له البخاري في خمسين موضعاً في صحيحه في شتى الأبواب، ولقد صّرح النسائي، والخطيب البغدادي، والحافظ المزي: بأن يعقوب بن إبراهيم كان يقبض المال على الأحاديث، قال النسائي في إخراجه لحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه».

(كان يعقوب لا يحدث بهذا الحديث إلا بدينار)!! ينظر: السنن الكبرى للنسائي: ج١، ص٧٥، من باب: ماء الثلج والبرد؛ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص١٨٨، تهذيب الكمال للمزي: ج٣١، ص٤٥٨.

(٣) أخرج له البخاري في الصحيح، كتاب البيوع، ج٣، ص٨، وقد نص على جهالته أبو حاتم الرازي، والمزي، وسليمان بن خلف الباجي. أنظر: «الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي هاشم: ج١، ص٣٣٣؛ تهذيب الكمال للمزي: ج٢، ص٣٥٩، التعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي: ج١، ص٣٩١.

ونص على ضعفه ابن حجر العسقلاني في التقريب، فقال: (أسباط أبو اليسع البصري: يقال أسم أبيه عبد الواحد، ضعيف، له حديث واحد متابعة في البخاري، من التاسعة). ينظر: «تقريب التهذيب: ج١، ص٧٧».

٧ - ولمن عرف بالتدليس، وهم لا حصر لهم في جامع البخاري[١].

وفي مقابل هؤلاء الذين أخرج لهم في كتابه (الصحيح)، لم يخرج حديثاً واحداً لمن طهرهم الله من الرجس في محكم التنزيل، وأمر النبي (صلى الله عليه واله) أمته بالتمسك بهم في حديث الثقلين، كالإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، وولده الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الملقب بالكاظم للغيظ، وولده الإمام أبي الحسن علي بن موسى الملقب بالرضا، (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ومن ثم: فما رواه البخاري لأولئك الذين عرفوا بكفرهم وكذبهم ووضعهم وبخروجهم من الدين وضعفهم وتدليسهم، فضلا عما كتمه البخاري من الحديث النبوي وغاير فيه وحذفه فقد أظهره الله عزّ وجل ليكون شاهدا على ظلمه الشريعة وظلم رسول الله (صلى الله عليه واله) وظلم أهل بيته (صلى الله عليه وآله) وظلم من تولاهم وتشيع لهم، بل ظلمه لأهل السُنّة والجماعة أنفسهم، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(١) أخرج البخاري في الصحيح لأشخاص عرفوا بالتدليس، عدهم البعض بثمانية وستين راويا، وقد أخرج لهم ما يقارب ستة آلاف ومائتين واثنين وسبعين ما بين رواية أو تعليق، وهي نسبة مهولة، تعني أنّ أكثر من تسعين بالمائة من أحاديثه ورواياته قد نقلها من قبل أناس اشتهروا بالتدليس، وحسب القارئ منه دخول العنعنة على الأسانيد، ومثل ذلك ما كان في صحيح البخاري من عنعنة قتادة عن أنس أو من عنعنة أبي إسحاق السبيعي، وقد عرفوا بالتدليس.

ولأن الأنسان مسؤول يوم القيامة، ومشدد عليه في التولي والتبري، وكي لا يحمل وزر ما أخرجه البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وغيرهما، فأنا نبرئ الى الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه واله) وأهل بيته (عليهم السلام) من كل ظلم حمله هؤلاء، قال عزّ شأنه:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾، [هود: ١١٣].

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، [الشعراء: ٢٢٧].

المسألة الثالثة: تأثر البخاري بسنة الشيخين في تركه لآلاف الأحاديث النبوية.

ثمت سؤال يفرضه البحث حول قول البخاري: (أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح). فمن المسؤول عن ضياع الآلاف من الأحاديث النبوية التي لم يخرجها البخاري في جامعه المسمى بالصحيح؟!

وكيف لا يلتبس عليه ما هو صحيح من غير الصحيح والعدد هو ثلاثمائة ألف حديث؟!

أما دافعه في كتابة الجامع الصحيح فلم يفصح عنه ولم يخرج في كتابه ما سنّهُ من سبقه من منع تدوين الحديث الذي بدئه أبو بكر في جملة من الإجراءات في حرق حديث رسول الله (صلى الله عليه واله) ومحوه، ومنع التحديث به، ليتبعه على هذا النهج عمر بن الخطاب في الحرق، والمنع، والإمحاء، والحبس، ومعاقبة من يروي حديثاً للنبي (صلى الله عليه واله) وغيرها من الإجراءات، التي أسس لها الشيخان فكانت سُنّة لمن جاء بعدهما من الحكام، والأمراء، والولاة، والرواة وغيرهم.

ولقد منَّ الله علينا بسابق لطفه وفضله وفضل رسوله (صلى الله عليه واله) بدراسة هذه الإجراءات وأثارها على الإسلام، ضمن بحثنا الموسوم بـ (الأمن الفكري في نهج البلاغة دراسة بينية في ضوء القرآن والسُنة والأنثروبولوجيا الثقافية لبيان مشروع الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة الإرهاب والتطرف)[1].

المسالة الرابعة: آثار المنهج الذي وضعه البخاري ومسلم على تدوين الحديث.

وللوقوف على بعض أثار هذا المنهج الذي سَنَّهُ البخاري ومسلم على تدوين الحديث الشريف، يقول ابن حجر العسقلاني:

(أعلم، علمني الله وإياك أن آثار النبي (صلى الله عليه [واله] وسلم) لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع، ولا مرتبة، لأمرين: **أحدهما**: أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم، خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم.

وثانيهما: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار.

فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما وكانوا يصنفون كل باب على حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا

(١) اصدار العتبة الحسينية المقدسة، ط١ مطبعة الكفيل لسنة١٤٣٦هـ-٢٠١٥م-كربلاء المقدسة.

الأحكام فصنّف الإمام مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم.

وصنّف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج بمكة وأبو عمر وعبد الرحمن بن عمر والأوزاعي بالشام وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري بكوفة وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي صلى الله عليه [واله] وسلم خاصة، وذلك على رأس المائتين، فصنّف عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي مسندا، وصنّف مسدد بن مسرهد البصري مسندا، وصنّف أسد بن موسى الأموي مسندا، وصنّف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسندا، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم، فقل إمام من الحفاظ إلا وصنّف حديثه على المسانيد كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء ومنهم من صنّف على الأبواب وعلى المسانيد معا كأبي بكر بن أبي شيبة.

فلما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وانتشق رياها وأستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فلا يقال لغثه سمين، فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه)[1].

(١) مقدمة فتح الباري: ص٤-٥.

ومما لا شك فيه أن ابن حجر لم يكشف عن الحقيقة في تأخير التدوين كما أسلفنا فنسب الأمر الى أسباب ما أنزل الله بها من سلطان!! كقوله: (خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم) أو (بعدم معرفتهم بالكتابة)، أو (لسليان حفظهم)، وغيرها كي يتكتم على ما سَنّهُ أبو بكر وعمر في محو السُنّة النبوية، ولتفرض على المسلمين سُنَّتها فأصبحت بموازاة السُنّة النبوية أن لم تكن حاكمة عليها، كصلاة التراويح، والطلاق البدعي، والصلاة خير من النوم، وغيرها مما كشفه خطاب أمير المؤمنين الإمام علي (عليه أفضل الصلاة والسلام).

وعليه:

فقد شكلت الرمزية التي أحدثها أعلام أهل السُنّة والجماعة لمحمد بن أسماعيل البخاري وكتابه المسمى بالصحيح حاجزا عن التفكير فيما قدّمه من صور مسيئة لشخص النبي (صلى الله عليه وآله) انعكست على صورته لدى المسلمين أنفسهم فنسبوا إليه ما يخالف القرآن -والعياذ بالله- والخُلق الذي بعث من أجل إتمام مكارمه، فكيف لا يرّسخ هذا الموروث تلك الصوّر المسيئة في الصحف المعادية له (صلى الله عليه وآله) ولأمته وأتباعه ومن آمن به؟!!

فكان ذلك شاهدا على حقيقة ما حذّر منه أمير المؤمنين (عليه السلام) الصحابة والتابعين ومن تبعهم وعامة المسلمين من أن بدء وقوع الفتن يكون:

«مِنْ أَهْوَاءٍ تُتَّبَعُ، وأَحْكَام تُبْتَدَعُ، ولَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ لَمْ يُخَفْ عَلَى ذِي حِجًى، لَكِنَّه يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ، ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَيُجَلَّلَانِ

مَعاً، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِه، ونَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهَ الْحُسْنَى؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَ [صلى الله عليه وآله] يَقُولُ:

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ، وقَدْ أَتَى النَّاسُ مُنْكَراً، ثُمَّ تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ، وتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، وتَدُقُّهُمُ الْفِتْنَةُ كَمَا تَدُقُّ النَّارُ الْحَطَبَ وكَمَا تَدُقُّ الرَّحَى بِثِفَالِهَا، ويَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ اللهَ، ويَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، ويَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِأَعْمَالِ الآخِرَةِ»[1].

(١) أقول: هذا الحديث أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنّفه: عن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن عبد الله بن مسعود، ولم ينسبه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وكذا فعل ابن أبي شيبة الكوفي في مصنّفه، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: قال عبد الله، وساق الحديث بتمامه.

ومما لا ريب فيه إننا لا نسلم للصنعاني وابن أبي شيبة الكوفي في نسبتهما الحديث الى ابن مسعود وذلك أن منطوق الحديث هو الغيبيات التي اختصت بالنبوة، فضلا عن أن كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أوثق وأصح من كلا ابن مسعود وقد نطق القرآن بصدقه وطهارته في آية التطهير، وعليه فيكون الحديث في نسبته الى ابن مسعود هو من وهم الرواة الذين عصفت بهم الظروف السياسية التي حاربت الرواية الشريفة.

ينظر: المصنّف للصنعاني: ج١١ ص٣٥٩؛ المصنّف لابن ابي شيبة: ج٨ ص٥٩٩.

المبحث الثاني

التثاقف بين صحيح البخاري وصحيفة يولاندس بوستن وإفراز ذريعة حرية التعبير

- توطئة:

يعود التثاقف في جذره المفهومي والتأصيلي إلى مفردة الثقافة ومنها أي الثقافة اتخذ الأنثروبولوجيون مفهوم التثاقف وتعريفه وتطوره عبر الدراسات الأنثروبولوجيّة وبالأخص تلك التي تعنى بالثقافة لتنفرد عن أبناء جنسها وتؤسس لحقل دراسي في علم الإنسان فكان الأنثروبولوجيا الثقافية، ومن ثم فنحن بحاجة إلى تدارس هذا الحقل المعرفي، وذلك لمعرفة تلك المتغيرات التي أثّرت في ثقافة القرآن والسُنّة النبوية وإلى حد التفكيك والانصهار في سنة الشيخين.

وعليه:

لا بد أولًا من الرجوع إلى المناهل المعرفية للتعرف على معنى الثقافة ومفهومها وخصائصها ووسائلها وكيف عمل الأناسيون (الأنثروبولوجيون) على دارسة الإنسان من حيث الأنماط الثقافية وأثرها في تحديد هويته وحضارته وعقيدته لتكون بذلك سمته السلوكية.

المسألة الأولى: معنى الثقافة في اللغة والأنثروبولوجيا.

أولاً: مفهوم الثقافة في اللغة ومعناها:

عند الرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أن المفهوم لهذه المفردة ومعناها في اللغة يعود إلى الفعل (ثقف).

قال ابن منظور: ثقف: ثقف الشيء ثَقفًا وثِقافًا ثُقُوفة: حذقة ورجل ثقف: حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا: ثقف لقف، وهو بيّنُ الثقافة واللقافة.

وقال ابن السكيت:

رجل ثقف لقف: إذا كان ضابطًا لما يحويه قائمًا به.

ويقال: ثقف الشيء وهو سرعة التعلم.

وثقف الرجل ثقافة: اي صار حاذقًا خفيفًا مثل ضخم ومنه المثاقفة)[1].

وهي مورد الدراسة كما سيمر في بيان آثارها، أي المثاقفة والتثاقف.

وبذلك يصبح (الثقف مصدر الثقافة)[2].

وقال الزمخشري:

(ثاقفه مثاقفة لاعبه بالسلاح وهي محاولة إصابة الغرة في المسايفة ونحوها، وفلان من أهل الثقافة وهو مثاقف حسن الثقافة بالسيف بالكسر، ولقد تثاقفوا فكان فلان أثقفهم)[3].

ومن هنا:

يمكن استخراج مفهوم المثاقفة فيما جاءت به المعاجم اللغوية بأنها: (عملية إدخال أفكار شخص ورُآه إلى شخص آخر بغية إصابته بها والتأثير عليه) كملاعبته بالسلاح بغية إصابته غرته ولا شك أن هذا الفن في ملاعبة السلاح

(١) لسان العرب لابن منظور: ج٩، ص ١٩.
(٢) كتاب العين للفراهيدي: ج٥، ص٣٨.
(٣) أساس البلاغة للزمخشري: ص٩٥.

يحتاج إلى أفكار ورؤى يحملها الملاعب ويستعملها لتحقيق هدفه في إصابة الآخر.

ومن ثم فالمثاقفة أو التثاقف يتم بالتواصل والاحتكاك وبالقوة في تحقيق التغيير بالآخر.

ثانياً: الثقافة في الأنثروبولوجيا.

لا يخفى على الباحث في الدراسات الأنثروبولوجيا أن العالم الإنجليزي (إدوارد تايلور)[1]. هو صاحب التعريف الأكثر انتشارًا واعتمادًا لمفهوم الثقافة، فقد عرّفها قائلًا:

(الثقافة هي ذلك الكل المركب المشتمل على المعارف، والمعتقدات والفن، والقانون، والأخلاق، والتقاليد، وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكسبها الإنسان كعضو في مجتمع)[2].

ثم يلي هذا التعريف تعريف آخر جاء به الباحثان (كروبير) و (كلوكهون) فبعد تحليلهما لأكثر من مائة وستين تعريفًا للثقافة التي قدمها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلم النفس وغيرهم توصّلا إلى تعريف للثقافة بأنها:

(نسق تأريخي مستمد من الأساليب الظاهرة والكامنة للحياة التي يشارك فيها كل أعضاء الجماعة أو بعضهم)[3].

---

(١) عالم أجناس بشرية (١٨٣٢ - ١٩١٧م) أستاذ علم الإنسان في جامعة أكسفورد منذ عام (١٨٩٦ - ١٩٠٩م) أسهم في دراسة الثقافة وكان أحد رواد الاتجاه التطوري، وقال بالنظرية البيولوجية، وأسهم في تطوري الدراسات المقارنة للأديان، ينظر: الموسوعة العربية العالمية.

(٢) سيسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات، لعبد الغني عماد: ص ٣١.

(٣) قاموس علم الاجتماع، للدكتور محمد عاطف وصفي: (ص ٩٧).

وأما ما يشهده عالمنا اليوم من متغيرات سريعة تفد على الإنسان جعلت (قضية الثقافة ـ كما يقول مارك أوجيه ـ[1] أو بالأحرى قضية الثقافات تشهد انبعاثًا راهنًا سواء على الصعيد الفكري، نظرًا لحيوية النزعة الثقافية الأمريكية، أو على الصعيد السياسي. ولم تشهد فرنسا حديثًا عن الثقافة كما تشهده اليوم (حول وسائل الإعلام والشباب والمهاجرين إلخ) وهذا الاستعمال الفوضوي لكلمة (ثقافة) يشكل وحده معطى أنثرولوجيًّا)[2].

المسألة الثانية: التثاقف و(المثاقفة Acculturation) وأثرها في تكوين الذرائعية بين الحديث الصحيح وحرية التعبير في الرسوم المسيئة.

يحتل مصطلح التثاقف مكانته النشوئية والمفهومية والتطويرية في علم الأنثروبولوجيا الثقافية (الأناسة الثقافية) وهو ما زال يشغل حيزًا واسعًا في الدراسات الأنثروبولوجيا لا سيما شهود الثقافة العالمية مرحلة الاتصال المباشر والسريع عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ومن ثم: نجده، أي التثاقف حاضرًا في الأبحاث الأناسية المعاصرة وذلك عبر إعادة دراسة التثاقف من حيث المفهوم والأثر والخصائص والإجراءات، وللوقوف على معرفة التثاقف فلا بد من المرور بالأمور الآتية:

أولا - تعريف التثاقف.

إنّ زيادة الاهتمام بمصطلح التثاقف في الدراسات الأنثروبولوجيّة وذلك

(١) مدير دراسات في EHSS. (حماية البيئة والصحة والسلامة البشرية والأمن) عمل في أمريكا اللاتينية وأفريقيا، ونشر عدة أعمال منها: أنثروبولوجيا خاصة بالعوالم المعاصرة - ١٩٩٤م).

(٢) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية؛ دوني كوش؛ ترجمة قاسم مقداد: ما يقدمه، طبع اتحاد الناشرين العربدمشق ٢٠٠٢م.

بفعل المتغيرات الثقافية وأنماطها والتسارع والتقارب والاحتكاك بين الثقافات الإنسانية مما جعل زيادة في ظهور التعريفات الخاصة به، فكان منها:

١ـ تأثر الثقافات بعضها ببعض نتيجة الاتصال بين الشعوب والمجتمعات مهما كانت طبيعة هذا الاتصال[١].

٢- التأثير الثقافي المتبادل فيما بين ثقافتين مختلفتين بعد حدوث احتكاك مطول بينهما بحيث تتعدل المسالك الثقافية والاجتماعية عند أحد الفرقاء أو عند الاثنين[٢].

٣- وعرّفه العالم الأمريكي الأنثروبولوجي مايرز هيرسكوفيتش (١٨٩٥م - ١٩٦٣م):

(الظواهر التي تنتج عن الاتصال المستمر والمباشر بين المجموعات من الأفراد ذوي الثقافات المختلفة فضلًا عن التغيرات في الثقافات الأصلية)[٣].

٤- وعّرفه دوني كوش: (مجموع الظواهر الناتجة من تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفزاد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في النماذج الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما)[٤].

٥ - تغير ثقافي يحصل في ظروف معينة بموجب اتصال بين ثقافتين أو أكثر متناقضتين تناقضا ظاهريًّا، ويتضمن التثاقف عددًا كبيرًا من المتغيرات[٥].

---

(١) مدخل إلى علم الإنسان، لعيسى الشماس: ١٤٦ طبع اتحاد الكتاب العرب/ دمشق.

(٢) معجم العلوم الاجتماعية، لفريدريك معتوق: ص ٢٠ ط أكاديميابيروت.

(٣) من التثاقف إلى عمليات المثاقفة، تقديم وترجمة أحمد رباص anfasse.okg.

(٤) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دوني كوش، ترجمة منير السعداني ص٩٣ ط/ مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٧).

(٥) المعجم التربوي لسعدية الجهوية: ص٣، ط/ المركز الوطني للوثائق التربويةالجزائر ٢٠٠٩م.

ثانياً - التثاقف من الخارج .

إنّ قراءة التعريفات السابقة للتثاقف من حيث البنية النشوئية للمصطلح يتضح أنها مرت بمراحل من التطور المفهومي والبنائي الذي لا يكاد ينفك عن جوهر مفهوم التثاقف ذاته.

بمعنى لم تأتِ هذه التعريفات وعملية بناء المصطلح لدى الأنثروبولوجيين بفارق مفاهيمي عن (التثاقف من الخارج) فالمفهوم هو ذاته في (التثاقف) ولم يقدم الباحثون في الأنثروبولوجيا الثقافية بناءً مستقلا لكلا المصطلحين، (ابتداءً من العالم الأنثروبولوجي الأمريكي (باول - Powell) (١٨٨٠م) والذي أشار إلى كونه (استعارة ثقافية).

ثم تبعه في استعمال المصطلح زميلاه (هولمز - Holmes) و (مالك جي - Mc Gee) في ثمانينيات وتسعينات القرن الماضي.

ولقد قام الأنثروبولوجي الألماني (ابرنزايش - Eheenreieh) بنقل المصطلح على ما يبدو إلى أوربا (عام ١٩٠٥م) عبر كتاباته عن مناطق التثاقف من الخارج، ويظهر المصطلح فيما بعد في كتابات (كريكبرج - Krickeberg) و (جرينر - Greebner)؛ ولقد استمر هذا التقليد في أعمال (أورتفالد - Thurnwald) و (شميدث - Schrmidt).

أما في الإمبراطورية البريطانية فيفضل استعمال مصطلح:

(الإتصال الثقافي)؛ ولقد كانت دراسات التثاقف من الخارج ذات أهمية بارزة في البلاد الناطقة بالإنجليزية على وجه الخصوص.

فكانت في بريطانيا ذات أهمية خاصة للأغراض الإدارية، وفي الولايات المتحدة بسبب الاهتمام بديناميات الثقافة. ولقد بدأت الدراسات الحديثة للتثاقف من الخارج في عشرينيات القرن الحالي)[1].

ومن ثم فقد عرف التثاقف من الخارج بعدة تعريفات، (ولقد كان ردفيلد ولنتون وهيرسكوفيتس هم أول من قدم تعريفًا منهجيًا للتثاقف من الخارج في عام ١٩٣٥. ولقد جاء فيه: «يتضمن التثاقف من الخارج تلك الظواهر التي تنشأ عندما يحدث اتصال مباشر مستمر بين جماعات من الأفراد التي تنتمي إلى ثقافات مختلفة، ويكون من نتيجة ذلك حدوث تغير في الأنماط الثقافية الأصلية عند إحدى الثقافتين أو كلتيهما». ويضيف المؤلفون إلى هذا التعريف الملاحظة التالية: - يجب طبقًا لهذا التعريف التمييز بين التثاقف من الخارج وبين التغير الثقافي - الذي يعتبر مجرد مظهر من مظاهره فقط - وبين التمثل الذي يمثل في بعض الأحيان مرحلة من مراحل التثاقف من الخارج.

ويجب أيضًا التمييز بين التثاقف من الخارج والانتشار الذي بينما يحدث في جميع حالات التثاقف من الخارج، إلا أنه ليس مجرد ظاهرة تتواتر دون ظهور أنواع الاتصال بين الشعوب المذكورة في التعريف الذي أوردناه، وإنما هو يمثل أيضًا جانبًا واحدًا فقط من جوانب عملية التثاقف من الخارج". وقد تعرض هذا التعريف - الذي أصبح الآن تعريفًا كلاسيكيًا- للنقد من جانب الكثيرين من الإثنولوجيين ومنهم واضعوه أنفسهم. وهكذا يقول لنتون أن التعريف لم يحاول تعيين طبيعة ظواهر التثاقف من

(١) أرنترو بوس، مبروك بوطقوقه، مصطلح التثاقف من الخارج.

الخارج، وإن التعريف يبالغ في تضيق حدود الاتصال بقصره على الاتصال المباشر المستمر. وكذلك لا يوافق هيرسكوفيتس على استخدام تعبير «جماعات من الأفراد» حيث إن الأفراد منفردين يمكن أن يكونوا حاملين لقوى التثاقف من الخارج)[1].

مما دفع بعض الباحثين الى أعتبار التثقاف من الخارج هو (العملية التي تتصل عن طريقها ثقافتان اتصالاً وثيقًا، ويكون من نتيجة ذلك أزدياد التشابه بين الثقافتين. وهذا هو التعريف المعتمد فيما ذكرناه آنفًا، وكثيراً ما نجده في الدراسات الحديثة عن التثاقف من الخارج. هناك فكرتان أساسيتان يرتكز عليهما هذا التعريف.

أولاً: التثاقف من الخارج عملية. ولقد عبر تورنفالد عن وجهة النظر هذه في وقت مبكر («التثاقف من الخارج عملية، وليست حدثًا منعزلاً») وكذلك (فورتس Fortes). يجب أن ينظر إلى الاتصال الثقافي على أنه عملية مستمرة من عمليات التفاعل بين جماعات من ثقافات مختلفة وليس على أنه مجرد نقل عناصر ثقافية من ثقافة لأخرى").

والفكرة الثانية: هي أن الالتقاء الكامل بين ثقافتين يمثل جذور مفهوم التثاقف من الخارج؛ قارن كذلك آراء المفكرين النظريين الأوائل في ألمانيا والنمسا. ويبدو أن الجملة المبهمة المأخوذة من الدراسة المشهورة التي سبق ذكرها على الاتصال المستمر المباشر تشير إلى نفس هذه الفكرة. وقد استفاد بها لنتون في تعريفه لهذه الظاهرة عام ١٩٣٦.

(١) https://www.aranthropos.com

ويقول إنه من المقطوع به أن «الاتصالات الكاملة» نادرة وغالبًا ما تتمثل في حالات الجماعات الغازية التي استقرت بين الجماعات المغزوة لاستغلالها أو في حالات جماعات المهاجرين، كما هي الحال في أمريكا. ويشير لنتون إلى أن: «مثل هذه الاتصالات ذات طبيعة تختلف إلى حد ما عن تلك التي تتصف بها عملية الانتشار العادية، ويطلق عادة على عملية التغير الثقافي التي تتم تحت هذه الظروف اسم: التثاقف من الخارج)[1].

ومما لا ريب فيه أن الاتصال المباشر والمتواصل بين الثقافة الغربية وبالأخص المجتمع الأوربي وبين الثقافة الإسلامية، سواء عبر التوسع الذي قاده الخلفاء الأمويين أو العباسيين أو العثمانيين فبلغ مبلغه من القارة الأوربية أو عبر التعاملات التجارية أو عبر الهجرة إليها لاسيما في القرن الواحد والعشرين فضلا عن تنامي الحركات التكفيرية في القارة الأوربية التي اتخذت أيدولوجيتها السياسية والفكرية والعقدية من المنهج الأموي وثمرته ابن تيمية وتلامذته فكان لعملية التثاقف فيما بين الثقافتين أثره في تجذر الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) في القارة الأوربية وتجسيدها في صحيفة يولاندس بوستن، وذلك عبر جملة من الشواهد التي أوردها البخاري في صحيحه وبين الرسوم التي نشرتها الصحيفة الدانيماركية وغيرها، مما أدى الى (الاستيلاء الثقافي وهو تبني بعض العناصر المحددة لثقافة واحدة من قبل أعضاء مجموعة ثقافية مختلفة. يمكن أن يشمل إدخال أشكال من اللباس أو الزينة الشخصية أو الموسيقى والفن أو الدين أو اللغة أو السلوك

(١) أرنتروبوس: التثاقف من الخارج.

يتم استيراد هذه العناصر عادةً إلى الثقافة الحالية، وقد يكون لها معاني مختلفة تمامًا أو تفتقر إلى التفاصيل الدقيقة لسياقها الثقافي الأصلي. لهذا السبب، يُنظر إلى الاستيلاء الثقافي على الكسب)[1] الحاصل من تحديد بعض العناصر من ثقافة الصحيح المسند وفتاوى السلفية والتيمية التي ركز عليها الكتاب والصحفيون والرسامون فنقلوا تلك الأنماط التثاقفية الى المجتمع الغربي.

وإن الذرائعية التي أحاطت بمرويات البخاري ومسلم وغيرهما مما ورد في السنن والمسانيد والسيرة والتاريخ والتفسير لا سيما شراح البخاري وغيرهم حتى يومنا هذا هي نفسها وجدت عند الغرب في ذريعة حرية التعبير عن الراي، فكلاهما أتكئ على ذرائعه وكلاهما أساء لسيد الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثًا - صورة النبي (صلى الله عليه وآله) بين رواية الإمام علي (عليه السلام) ورواية البخاري (فلينظر ناظر بعقله).

إن خير ما نختم به الدراسة هو الصورة التي نقلها أمير المؤمنين الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) عن أخيه وابن عمه ومعلمه وسيده ونبيه صلى الله عليه وآله فحري بكل مسلم أن يشاهد هذه الصورة وليس ما نقله البخاري وغيره، قال (عليه السلام):

١- «أَرْسَلَه بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللَّامِعِ والأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ واحْتِجَاجاً

(١) https://ewikiar.top/wiki/Acculturation

بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ وتَخْوِيفاً بِالْمُثُلَاتِ، والنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، واخْتَلَفَ النَّجْرُ وتَشَتَّتَ الأَمْرُ، وضَاقَ الْمَخْرَجُ وعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى خَامِلٌ والْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ ونُصِرَ الشَّيْطَانُ وخُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُه وتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُه، ودَرَسَتْ سُبُلُه وعَفَتْ شُرُكُه، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَه ووَرَدُوا مَنَاهِلَه، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُه وقَامَ لِوَاؤُه، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا ووَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ».

٢ ـ قال (عليه السلام):

«إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وشَهِيدًا عَلى هذِهِ الأُمَّةِ، وأنتُم يا مَعشَرَ العَرَبِ يَومَئِذ عَلى شَرِّ دين، وفي شَرِّ دار، مُنيخونَ عَلى حِجارَة خُشنٍ، وحَيّاتٍ[1] صُمٍّ، وشَوك مَبثوث فِي البِلادِ، تَشرَبونَ الماءَ الخَبيثَ، وتَأكُلونَ الطَّعامَ الجَشيبَ[2]، وتَسفِكونَ دِماءَكُم، وتَقتُلونَ أولادَكُم، وتَقطَعونَ أرحامَكُم، وتَأكُلونَ أموالَكُم بَينَكُم بِالباطِلِ، سُبُلُكُم خائِفَةٌ، وَالأَصنامُ فيكُم مَنصوبَةٌ، وَالآثامُ بِكُم مَعصوبَةٌ[3]» ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦])[4].

(١) ورد في البحار: (جنادل).

(٢) في نهج البلاغة: ((تشربون الكدر وتأكلون الجشب)).

(٣) هذه الفقرة في نهج البلاغة فقط.

(٤) الغارات، الثقفي: ج١ ص٣٠٣؛ نهج البلاغة، الشريف الرضي: الخطبة ٢٦؛ شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ج٦ ص٩٤

٣ـ وقال (عليه السلام):

«بَعَثَه والنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، واسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ، فَبَالَغَ (صلى الله عليه وآله) فِي النَّصِيحَةِ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»[١].

٤ـ وقال (عليه السلام):

«أَرْسَلَه عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ واعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ وتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا واغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وطَعَامُهَا الْجِيفَةُ وشِعَارُهَا الْخَوْفُ ودِثَارُهَا السَّيْفُ.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ، واذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ، ولَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ ولَا بِهِمُ الْعُهُودُ، ولَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ والْقُرُونُ، ومَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ..»[٢].

٥ـ وقال (عليه السلام):

«فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَه بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله)، ولَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، ولَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ولَا وَحْياً»[٣].

(١) نهج البلاغة، الخطبة:٩٥ بتحقيق صبحي الصالح: ص١٤٠.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٩ بتحقيق صبحي الصالح: ص١٢٢ .
(٣) المصدر السابق: الخطبة: ١٠٤ .

٦ـ وقال (عليه السلام):

«فَبَعَثَ اللهَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبَادَه مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِه، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِه، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَه وأَحْكَمَه، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوه، ولِيُقِرُّوا بِه بَعْدَ إِذْ جَحَدُوه، ولِيُثْبِتُوه بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوه، فَتَجَلَّى لُهُمْ سُبْحَانَه فِي كِتَابِه، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْه بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِه، وخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِه، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمُثُلَاتِ، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ»[1].

٧ـ وقال (عليه السلام):

«وأَحْمَدُ اللهَ وأَسْتَعِينُه عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ ومَزَاجِرِه، والِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِه ومَخَاتِلِه وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا اللهَ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُه ورَسُولُه ونَجِيبُه وصَفْوَتُه، لَا يُؤَازَى فَضْلُه ولَا يُجْبَرُ فَقْدُه، أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، والْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ، والنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، ويَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ ويَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ»[2].

٨- وقال (عليه السلام):

«فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيه أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّه والْمُقْتَصُّ لأَثَرِه قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً وأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً عُرِضَتْ عَلَيْه الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا وعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَه أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَه وحَقَّرَ

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٧ .

(٢) المصدر السابق، الخطبة: ١٥١ .

شَيْئاً فَحَقَّرَه وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَه ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهَّ ورَسُولُه وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهَّ ورَسُولُه لَكَفَى بِه شِقَاقاً للهَّ ومُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهَّ ولَقَدْ كَانَ (صلى الله عليه وآله) يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ويَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَه ويَرْقَعُ بِيَدِه ثَوْبَه ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ ويُرْدِفُ خَلْفَه ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه فَتَكُونُ فِيه التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ لِإِحْدَى أَزْوَاجِه غَيِّبِيه عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْه ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِه وأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِه وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِه لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً ولَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً ولَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ وكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْه وأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَه ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهَّ (صلى الله عليه وآله) مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِه وزُوِيَتْ عَنْه زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِه فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِه أَكْرَمَ اللهَّ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَه فَإِنْ قَالَ أَهَانَه فَقَدْ كَذَبَ واللهَّ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ وإِنْ قَالَ أَكْرَمَه فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ أَهَانَ غَيْرَه حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَه وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْه فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّه واقْتَصَّ أَثَرَه ووَلَجَ مَوْلِجَه وإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهُلَكَةَ فَإِنَّ اللهَّ جَعَلَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) عَلَماً لِلسَّاعَةِ ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِه وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّه فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهَّ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِه سَلَفاً نَتَّبِعُه وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَه واللهَّ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِه حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا ولَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى»[1].

(١) نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي (رحمه الله)، الخطبة: ١٦٠.

فهل من ناظر ينظر بعقله لكلام أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في رسم صورة النبي (صلى الله عليه وآله) ليُقبِل بها إلى ربه يوم الحشر، أم أنه سيختار كلام البخاري؟!!

اللهم إنا نصلي على رسولك بما صلى عليه أخيه ووصيه وخليفته في أمته أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام):

«اللَهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ ودَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ والدَّامِغِ صَوْلَاتِ الأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ وأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ ونَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ. اللَهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ واجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَهُمَّ وأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، واجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وخُطْبَةٍ فَصْلٍ؛ اللَهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وقَرَارِ النِّعْمَةِ، ومُنَى الشَّهَوَاتِ وأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ ورَخَاءِ الدَّعَةِ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وتُحَفِ الْكَرَامَةِ»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٧٢ بتحقيق صبحي الصالح: ص١٠٢.

اللّهم صل على بضعة نبيك وصفوة حبيبك وقرة عينه ما شرقت شمس وأفلت، وتعاقب الليل والنهار، وصل على بعلها وحليلها وليك المعّظم، ووصي رسولك المقدم على الخلق أجمعين، والمصطفى من الأنبياء والمرسلين، والمختار بعلم على الخلق أجمعين.

وصل على ولديها الحسن والحسين، حججك على خلقك، وصفوتك من نور نبيك، وأمنائك على شريعتك.

وصل ولدها، أئمة الهدى وأعلام التقى، علي بن الحسين السجاد، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق، وموسى بن جعفر الكاظم، وعلي بن موسى الرضا، ومحمد بن علي الجواد، وعلي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري، والحجة بن الحسن المهدي، المنتظر لإقامة العدل، وهدم الجور، وأحياء السُنة، وإماتة البدعة.

فـ: «**هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ**»[1].

والحمد لله رب العالمين على فضله وفضل رسوله (صلى الله عليه وآله).

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢ بتحقيق صبحي الصالح: ص٤٨ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإحتجاج، الشيخ أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، طبع: دار الأسروة للطباعة والنشر لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ط٦، قم المقدسة - إيران.

٢. الأحكام، ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، المطبعة : مطبعة العاصمة - القاهرة، الناشر: زكريا علي يوسف.

٣. إرث النبي (صلى الله عليه واله) في المذاهب الخمسة بين منع النبوة ودفع فاطمة (عليها السلام)، السيد نبيل الحسني، الناشر: مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة- كربلاء المقدسة-العراق، ط١، ١٤٤٢-٢٠٢١.

٤. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري وبهامشه صحيح مسلم بشروح النووي، أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني، ط٧، نشر: دار كتاب العربي، ١٣٢٣هـ، بيروت.

٥. أساس البلاغة، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، نشر وطبع: دار ومطابع الشعب لسنة ١٩٦٠م، القاهرة ـ مصر.

٦. الإستبصار، محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، طبع: دار الكتب الإسلامية لسنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، ط٤، طهران - إيران.

٧. الإسلام والأنثروبولوجيا، أحمد باقادر، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

٨. الإصابة، في تمييز الصحابة، الحافظ أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني (ت:

٨٥٢هـ) تحقيق: علي محمد البجاري، طبع: دار الجيل لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، بيروت - لبنان.

٩. الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: علي مهنا، سمير جابر، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر لسنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ط٢، بيروت ـ لبنان

١٠. الأمّ، مختصر المزني، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (ت: ٢٦٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١١. الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، طبع: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، قم المقدسة ـ إيران.

١٢. الأنثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية لمجتمع الكوفة ، السيد نبيل الحسني ، إصدار العتبة الحسينية المقدسة، طبع مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١٣. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: محمود الفردوس العظم، صبحي الماردينى، طبع: دار اليقظة العربية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، دمشق ـ سوريا.

١٤. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن (٨١٧ -٨٨٥)، تحقيق ومراجعة: محمد حامد الفقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥. البداية والنهاية، ابن كثير، (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عليّ شيري، ط١، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

١٦. بدائع الصنائع، أبو بكر الكاشاني (ت: ٥٨٧هـ)، طبع: المكتبة الحبيبية لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ط١، باكستان.

١٧. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبع: دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٨. تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (ت: ٢٣٣هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩ - ١٩٧٩.

١٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، طبع: دار الكتاب العربي لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، بيروت ـ لبنان.

٢٠. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: لجنة من الأدباء، طبع: مطابع معتوق أخوان، بيروت ـ لبنان.

٢١. تاريخ الفكر الاجتماعي، أ. د نبيل عبد الحميد الجبار، ط١ دار دجلة، الاردن.

٢٢. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله الجعفي البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: السيد هاشم الندوي، طبع: دار الفكر، بيروت - لبنان.

٢٣. تاريخ المدينة (أخبار المدينة المنورة)، ابن شبه أبو زيد عمر بن شيبه النميري البصري (ت: ٢٦٢هـ)، طبع: مطبعة قدس لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٨٠م، ط٢، قم المقدسة ـ إيران.

٢٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكتاب العباسي المعروف باليعقوبي (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محمد يوسف نجم، طبع: دار صادر لسنة ١٤١٥هـ)، ١٩٩٥م، بيروت - لبنان.

٢٥. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر

(ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت ـ لبنان.

٢٦. تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، طبع: دار ابن خزيمة لسنة ١٤١٤هـ)، ١٩٩٤م، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٢٧. تذكرة الحفاظ، محمد بن طاهر القيسراني (ت: ٥٠٧هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، طبع: دار الصميعي لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، الرياض - المملكة العربية السعودية تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي: ج ١ :ص ٢٥ ،

٢٨. تزاوج الإختصاصات ، نجيب عبد الواحد؛ ٣يونيو٢٠١٧؛الدراسات البينية التعليم العالي.

٢٩. التعديل والتجريح، سليمان بن خلف بن سعد، ابن أيوب الباجي المالكي (ت: ٤٧٤هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد البزار، طبع: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مراكش - المغرب.

٣٠. تغليق التعليق على صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد القزفي، طبع: المكتب الإسلامي لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط١.

٣١. تفسير السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م، ط١، بيروت - لبنان.

٣٢. تقريب التهذيب، ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٣. تقييد العلم، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، أبو بكر، تحقيق: يوسف العش، طبع: دار إحياء السنة النبوية لسنة ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، القاهرة ـ مصر.

٣٤. تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت - لبنان.

٣٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ المتقن جمال أبو الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف، طبع: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، بيروت - لبنان.

٣٦. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، (ت:٤٦٠ هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط٣، ١٣٦٤ ش، مطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٣٧. الثقافة، والصحة، والمرض، رؤية جديدة في الأنثروبولوجيا المعاصرة، د. يعقوب يوسف الكندري، الناشر: الكويت: جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، لجنة التأليف والتعريب والنشر، ٢٠٠٣.

٣٨. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، (ت: ٣٨١ هـ)، تحقيق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٢، ١٣٦٨ ش، المطبعة: أمير - قم، الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم.

٣٩. جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير والجامع الأزهر) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عباس أحمد صقر - أحمد عبد الجواد، إشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، طبع: دار الفكر، بيروت - لبنان.

٤٠. الجامع الصغير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (٨٤٩ - ٩١١ هـ)، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٤١. جامع بيان العلم، ابن عبد البر، (ت: ٤٦٣ هـ)، ١٣٩٨، المطبعة والناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢. الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم الرازي، (ت: ٣٢٧ هـ)، ط١، ١٣٧١ - ١٩٥٢م، المطبعة: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٣. جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، (ت: ١٢٦٦ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوجاني، ط٢، ١٣٦٥ ش، المطبعة: خورشيد، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٤٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت: ٨٧١هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، طبع: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية لسنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ط١، قم المقدسة - إيران.

٤٥. حياة الحيوان الكبرى للدميري، ط دار الفكر - بيروت.

٤٦. خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، أبو عبد الرحمان احمد بن شعيب النسائي الشافعي، تحقيق وتصحيح: محمد هادي الأميني، ط١، نشر المطبعة الحيدرية، ١٣٨٨هـ، النجف الأشرف.

٤٧. الدر المنثور في التأويل بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، طبع دار الفكر لسنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٤٨. الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، تصحيح وتعليق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، طبع: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٤٩. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول، (ت: ٧٨٦هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط١، محرم ١٤١٩، المطبعة: ستاره - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث - قم.

٥٠. ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (ت: ٤٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

٥١. روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، الشهيد الثاني، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، طبع: دار بوستان كتاب لسنة ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ط١، قم المقدسة - إيران.

٥٢. الرياض النظرة في مناقب العشرة، الإمام شيخ المشايخ الفقيه الحديث أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري (ت: ٦٩٤هـ)، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط١، بيروت - لبنان.

٥٣. السنة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت: ٢٩٤هـ)، تحقيق: سالم أحمد السلفي، طبع: مؤسسة الكتب الثقافية لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ط١، بيروت - لبنان.

٥٤. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع: دار الفكر، بيروت - لبنان.

٥٥. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعد محمد اللحام، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، بيروت - لبنان.

٥٦. سنن البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ط٣، بيروت - لبنان.

٥٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي أسلمي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥٨. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن المفضل بن بهرام الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، طبع: دار القلم لسنة

١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ط٣، دمشق ـ سوريا.

٥٩. السنن الكبرى، البيهقي الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ)، طبع: دار المعرفة لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، بيروت ـ لبنان.

٦٠. سؤالات البرقاني، علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني البغدادي، تحقيق: د. عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، ط١، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ.

٦١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (ت: ٦٣٠هـ)، إشراف وتخريج: شعيب الأرناؤوط، نشر وطبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ط٩، بيروت ـ لبنان.

٦٢. سيسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة ، تأليف: الدكتور عبد الغني عماد ، نشر: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٣ ، لسنة ٢٠١٦م .

٦٣. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، ابو حنيفة، نعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيون التميمي المغربي المشهور بـ(القاضي نعمان المغربي) (ت: ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، طبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، ط١، قم المقدسة ـ إيران.

٦٤. الشرح الكبير لابن قدامة، (ت: ٦٨٢ هـ)، طبعة: جديدة بالأوفست، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٦٥. شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السياسي، (ت: ٦٨١ هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط٢.

٦٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٥هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، طبع: دار إحياء الكتب العربية لسنة ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م، ط١، بغداد - العراق.

٦٧. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد

سعيد بسيوني، طبع: دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان.

٦٨. الصحاح، تاج اللّغة وصحاح العربيّة، الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حمّاد)، (ت: ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٦٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٨٥٢هـ)، طبع: دار العلوم الإنسانية لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دمشق - سوريا.

٧٠. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، طبع: دار الفكر، بيروت - لبنان.

٧١. صحيفة المدينة، يوم الاثنين، ٢٨شوال-١يوليو٢٠١٩.

٧٢. صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي، ط١، لسنة: ١٤١٦، المطبعة: سلمان الفارسي.

٧٣. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٧٤. علم خصائص الشعوب علم الأقوام، علي عبد الله الجباوي، الناشر: التكوين، دمشق - حلبوني.

٧٥. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسي بن أحمد بدر الدين العيني الحنفي (ت: ٨٥٥هـ)، طبع: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٧٦. عوائد الأيام في بيان قواعد استنباط الاحكام، المحقق النراقي، دار الهادي.

٧٧. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، تحقيق: عبد الزهرة الحسينية، ط١، نشر: دار الأضواء، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ، بيروت.

٧٨. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني (ت: ١٣٩٢هـ)،

ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

٧٩. الغنية (الجوامع الفقهية)، محمد باقر بن محمد رحيم الخوانساري، طبعة إيران، ١٨٥٩م.

٨٠. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، نشر وطبع: دار المعرفة للطباعة والنشر.

٨١. المجموع شرح المهذب، ويليه فتح العزيز شرح الوجيز، ويليه التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، المؤلف: محيي الدين بن شرف النووي أبو زكريا - عبد الكريم بن محمد الرافعي ، نشر المكتبة السلفية.

٨٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

٨٣. الفتن، نعيم بن حماد المروزي، (ت: ٢٨٨ه)، تحقيق وتقديم : الدكتور سهيل زكار، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.

٨٤. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري المولود أواخر القرن الثاني الهجري (ت: ٨٩٢هـ)، طبع: دار ابن خلدون لسنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، بيروت - لبنان.

٨٥. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، طبع: دار الفكر لسنة ١٤١٢هـ)، ١٩٩٢، ط١، بيروت - لبنان.

٨٦. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغربري، طبع: دار الحديث للطباعة والنشر لسنة ١٤٢٢هـ)، ٢٠٠١م، ط١، قم المقدسة - إيران.

٨٧. قاموس علم الاجتماع، للدكتور محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩.

٨٨. الكافي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تأليف: أبن قدامة المقدسي(٦٢٠هـ) ، نشر المكتب الإسلامي بيروت.

٨٩. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، طبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ط٥، قم المقدسة ـ إيران.

٩٠. كتاب العين – للفراهيدي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، لسنة ١٤٠٩ هـ.

٩١. كشف اللثام، الفاضل الهندي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، طبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ط١، قم المقدسة ـ إيران.

٩٢. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ويليه البيان في أخبار صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، طبع: شركة الكتبي لسنة ١٤١٣ه، ١٩٩٢م، ط٤، بيروت ـ لبنان.

٩٣. الكفاية في علم الدراية، أحمد بن علي بن ثابت ابو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق: أحمد عمر هاشم، نشر: دار الكتاب العربي، سنة الطبع: ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت.

٩٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، نشر: مؤسسة الرسالة، سنة الطبع: ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، بيروت – لبنان.

٩٥. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري المصري، تحقيق: عامر أحمد حيدر، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ط١، بيروت – لبنان.

٩٦. ما روي في الحوض والكوثر، ابن مخلد القرطبي (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: عبد

القادر محمد عطا صوفي، طبع: مكتبة العلوم والحكم لسنة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ط١، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية.

٩٧. مجمع الزوائد، الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، لسنة: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٩٨. المجموع شرح المهذب، الشيرازي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، طبع: مكتبة الإرشاد لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ط١، جدة- المملكة العربية السعودية.

٩٩. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، (ت: ٢٧٤هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

١٠٠. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١ هـ)، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا.

١٠١. مدخل إلى علم الإنسان، عيسى الشماس، طبع اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

١٠٢. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت: ١١١١هـ)، تصحيح: السيد هاشم الرسولي، وقدّم له السيد مرتضى العسكري، ط٢، دار الكتب الإسلامية، قم - إيران، ١٤٠٤هـ.

١٠٣. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت- لبنان.

١٠٤. مروج الذهب ومعادن الجواهر، أبي الحسن المسعودي، ط١ المحققة،

منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

١٠٥. المستدرك على الصحيحين، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبع: دار الكتب العلمية، ط١، بيروت - لبنان.

١٠٦. مستند الشيعة، المحقق النراقي، (ت: ١٢٤٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ط١، لسنة: ١٤١٥، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم.

١٠٧. مسند الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى التميمي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، طبع: دار المأمون للتراث لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دمشق - سوريا.

١٠٨. مسند أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والافعال، احمد بن حنبل، (ت: ٢٤١ هـ)، دار صادر- بيروت.

١٠٩. مصابيح السنة، ابو محمد الحسين بن مسعود ابن محمد الغراء البغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، طبع: دار المعرفة لسنة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ط١، بيروت - لبنان.

١١٠. المصنّف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطبع: جماد الآخرة ١٤٠٩هـ)، ١٩٨٩م، بيروت.

١١١. المصنف، الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن عمام الصنعاني، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الاعظمي، ط١، نشر: المجلس العلمي، سنة ١٣٩٠هـ، جوهانربرغ.

١١٢. المعتبر، المحقق الحلي، (ت: ٦٧٦ هـ)، تحقيق وتصحيح: عدة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازي، ١٣٦٤/ ٣/ ١٤ ش، مط: مدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، الناشر: مؤسسة سيد الشهداء (ع) - قم

١١٣. المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جيفري بارندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح، ط١، نشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ١٩٩٣م، الكويت.

١١٤. المعجم التربوي، لسعدية الجهوية ، ط المركز الوطني للوثائق التربوية - الجزائر ٢٠٠٩م.

١١٥. معجم العلوم الاجتماعية، لفريدريك معتوق، ط أكاديميا - بيروت.

١١٦. المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، طبع: مكتبة العلوم والحكم لسنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، الموصل - العراق.

١١٧. معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا)، (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، ، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١١٨. المغني، ابن قدامة، (٥٤١ -٦٢٠)، ط١، ١٤٠٥، الناشر: دار الفكر، بيروت.

١١٩. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دوني كوش، ترجمة منير السعداني ط/ مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ٢٠٠٧.

١٢٠. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية؛ دوني كوش؛ ترجمة قاسم مقداد: ما يقدمه، طبع اتحاد الناشرين العرب - دمشق ٢٠٠٢م.

١٢١. مقدمة فتح الباري، ابن حجر، ط١، نشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت.

١٢٢. من التثاقف إلى عمليات المثاقفة، تقديم وترجمة أحمد رباص ، موقع أنفاس نت .

١٢٣. من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، طبع: مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط٢، قم المقدسة ـ إيران.

١٢٤. مناقب الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، تصنيف: الخطيب الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن محمد الواسطي الجلاني الشافعي الشهير بابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ)، طبع: إنتشاءات سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم لسنة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ط١.

١٢٥. المناقب، الموفق الخوارزمي، (ت: ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي – مؤسسة سيد الشهداء (ع)، ط٢، ربيع الثاني ١٤١٤، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي بقم.

١٢٦. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد السبط ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ط١، بيروت – لبنان. منتهى المطلب، للعلامة الحلي، تحقيق: قسم الفقة في مجمع البحوث الإسلامية، طبع: مؤسسة الطبع والنشر في العتبة الرضوية المقدسة لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ط١، مشهد المقدسة ـ إيران.

١٢٧. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تح: علي عاشور ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، مؤسسة المظفر الثقافية النجف الأشرف، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١٢٨. الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩ – ١٩٩٩.

١٢٩. موسوعة علم الانسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجيا، لسيمور سميث، ط٢، المركز القومي للترجمة – القاهرة.

١٣٠. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي،

جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، تصحيح: عبدالعزيز الديوبندي الفنجاني - محمد يوسف الكاملفوري، تحقيق: محمد عوامة، طبع: دار القبلة للثقافة الإسلامية لسنة ١٤١٨هـ)، ١٩٩٨م، ط١، جدة - المملكة العربية السعودية.

١٣١. نظم درر السمطين، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي المدني الحنفي شمس الدين (ت: ٧٥٠هـ)، ترجمة وتحقيق: علي عاشور، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، سنة الطبع: ١٣٧٧هـ)، ١٩٥٨م، بيروت - لبنان.

١٣٢. نقد الفكر الاجتماعي المعاصر، د. معن خليل، ط٢، دار الآفاق، العراق.

١٣٣. نهج البلاغة، بتحقيق صبحي الصالح، ط١، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، بيروت.

١٣٤. نهاية الاحكام، للعلامة الحلي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، طبع: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، الطبعة الثانية، قم المقدسة - إيران.

١٣٥. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (١١٧٣ - ١٢٥٥)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.

١٣٦. الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (ت: ٥٩٣هـ)، المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

١٣٧. ويكيبيديا - الموسوعة الحرة، موسوعة إنترنت، ٩ يوليو ٢٠٠٣.

فهرس المحتويات

مقدمة الكتاب ٧

التمهيد: معنى مفردات عنوان الدراسة ومفهومها ١٣

أولاً: معنى الكشف والكاشفية.... ... ... ١٣

ثانياً: معنى الخطاب في اللغة والاصطلاح. ١٤

١ – الخطاب لغة. ١٤

٢ – الخطاب اَصطلاحاً. ١٥

ثالثاً: معنى الرسوم المسيئة ومفهومها. ١٦

رابعاً: التعريف بصحيفة يولاندس بوستن.... ... ... ١٦

خامساً: التعريف بعلم الأنثروبولوجيا الثقافية.... ... ... ١٧

سادساً: فرضية الدراسة وهدفها... ... ... ٢٠

أ – فرضية الدراسة. ٢٠

ب – هدف الدراسة.... ... ... ٢١

سابعاً: حقول الدراسة المعرفية ومجالات البحث ٢٣

ثامناً: معنى الدراسة البينية ٢٣

تاسعاً: مناهج البحث المعتمدة في الدراسة. ٢٤

الفصل الأول: كاشفية خطاب الإمام علي (عليه السلام) عن محددات أصول الرسوم المسيئة للنبي (صلى الله عليه وآله) وتجلياتها في عمل الولاة وصحيح البخاري. ٢٧

توطئة ٢٩

المبحث الأول: مخاطبته الضمير الجمعي للأمة قبل الشروع ببيان أصول الرسوم المسيئة ووقوع الفتن ٣١

المسألة الأولى: تحريك الضمير الجمعي وأثره في الوصول إلى الإصلاح ٣٥
أولاً: مفهوم مصطلح الضمير الجمعي ونشأته.... ... ... ٣٦
ثانياً: استجلابه (عليه السلام) لذهن المتلقي وقلبه. ٣٧
المسألة الثانية: كشفه (عليه السلام) عن أصول وقوع الفتن في الأمة. ٤٤
أولاً – أتباع الأهواء وأثره في وقوع الفتن. ٤٥
ثانياً – ابتداع الأحكام وأثره في وقوع الفتن ٤٦
ثالثاً – مزج الباطل بالحق وأثره في وقوع الفتن.... ... ... ٤٩

المبحث الثاني: دراسة الآثار التي أحدثتها أعمال الولاة في وقوع الفتن في الأمة وتأصيل الرسوم المسيئة. ٥٧
المسألة الأولى: كاشفية خطاب الإمام علي (عليه السلام) عن آثار سُنّة الشيخين في السُنّة النبوية ووسمها بالشرعية. ٥٨
أولاً: بيان الفتنة التي (يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ). ٥٩
ألف – إعلان الخليفة إيقاف العمل بسُنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في اليوم الأول من الخلافة. ٦٠
باء – حرق الأحاديث النبوية بعد منع العمل بالسُنّة. ٦٤
جيم – منع المسلمين من التحديث بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله). ٦٨
ثانيا – بيان الفتنة التي (يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا، ويَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ قَدْ غُيِّرَتِ السُّنَّةُ). ٧٠
ألف – منع تدوين سُنّة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)... ... ... ٧١
باء – منعه الصحابة من رواية أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله). ٧٤
جيم – أمره بمحو السُنّة النبوية في جميع المدن الإسلامية.. ... ... ٧٨
دال – حبسه لصحابة النبي (صلى الله عليه وآله) بجرم إفشائهم الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).. ... ... ٨٠
هاء – حرقه كتب الحديث النبوي والسنن والتفسير التي عند صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله). ٨٣
واو – منعه الصحابة من قراءة القرآن حينما يترافق مع بيان أحكامه؟!... ... ... ٨٦
ياء – معاقبته مَن يسأل عن أمور دينه أشد العقوبة ونفيه من بلده!!.. ... ... ٩٥

المسألة الثانية: كاشفية خطابه (ﷺ) عن التشبث ببدعة صلاة التراويح في مسجد الكوفة واتخاذها سنة وعلة امتناعه عن منع المسلمين من أقامتها. ٩٧

المبحث الثالث: تشيّد البخاري ومسلم لأصول الرسوم المسيئة للنبي (ﷺ) فكانت من ثوابت أهل السُنّة والجماعة ١٠٩

المسألة الأولى: تثقيف الناس على ممارسة النبي (ﷺ) لأخلاق الجاهلية كما يروي البخاري – والعياذ بالله – ١٠٩

أولاً: رواية البخاري وغيره في أكل النبي (ﷺ) من ذبائح الأصنام والأوثان – والعياذ بالله – . ١٠٩

ثانياً: رواية البخاري في أن النبي (ﷺ) يؤذي الناس ويسبهم ويلعنهم –والعياذ بالله – ١١٣

المسألة الثانية: تثقيف الناس على وقوع النبي (ﷺ) –والعياذ بالله– بالمحرمات والتهاون فيها!! ١١٦

أولاً – أتهام النبي (ﷺ) بالبقاء على الجنابة فيصلي وهو جنب – والعياذ بالله – !!.. ... ... ١١٧

ثانياً: اتهام النبي (ﷺ) بالجلوس على فراش امرأة ليلة عرسها واستماعه للمعازف برواية البخاري –والعياذ بالله – ١٢١

ثالثاً: أتهام النبي (ﷺ) في إقامة الغناء والمعازف في داره برواية البخاري – والعياذ بالله – ١٢٣

رابعاً: أتهام النبي (ﷺ) بالتبول واقفاً كما يروي البخاري – والعياذ بالله – ١٢٨

الفصل الثاني: التوافقات الفكرية والتثاقفية في الإتكاء على الذرائعية بين ذريعة الصحيح وذريعة حرية التعبير... ... ... ١٣١

توطئة ١٣٣

المبحث الأول: رمزية البخاري في ثقافة أهل السُنّة والجماعة وأثرها في نشر الرسوم المسيئة للنبي (ﷺ) والسكوت عليها بذريعة الصحيح.. ... ... ١٣٥

المسألة الأولى: شأنية البخاري وكتابه عند أهل السُنَّة والجماعة ودخول المثاقفة في تكوينها.. ... ١٣٥

المسألة الثانية: هل كان البخاري مؤتمنا على تدوينه للحديث النبوي؟ ١٣٩

المسألة الثالثة: تأثر البخاري بسنة الشيخين في تركه لآلاف الأحاديث النبوية.. ... ... ١٤٣

المسالة الرابعة: أثار المنهج الذي وضعه البخاري ومسلم على تدوين الحديث... ... ... ١٤٤

المبحث الثاني: التثاقف بين صحيح البخاري وصحيفة يولاندس بوستن وإفراز ذريعة حرية التعبير... ... ... ١٤٩
المسألة الأولى: معنى الثقافة في اللغة والأنثروبولوجيا. ١٤٩
أولاً: مفهوم الثقافة في اللغة ومعناها ١٤٩
ثانياً: الثقافة في الأنثروبولوجيا. ١٥١
المسألة الثانية: التثاقف و (المثاقفة Acculturation).. ... ... ١٥٢
أولا – تعريف التثاقف. ١٥٢
ثانياً – التثاقف من الخارج.. ... ... ١٥٤
ثالثًا– صورة النبي (صلى الله عليه وآله) بين رواية الإمام علي (عليه السلام) ورواية البخاري (فلينظر ناظر بعقله). ١٥٨
المصادر والمراجع ١٦٥
فهرس المحتويات ١٨١